نسائم الروح

قليلها كثير

العميد الدكتور محمد عبد الحفيظ فرشوخ

بيروت
2018

جميع الحقوق

محفوظة للمؤلّف

الطبعة الأولى

1439هـ/ 2018م

يطلب من

منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

جادة الراشدين– الصنائع

بناية سنتر مورينو (مشاّقة)

بلوك سي– الطابق 3

Email: iijazforum@gmail.com

هاتف: 00961346699

خطوط: أ.صلاح الشامي

العميد الدكتور محمد عبد الحفيظ فرشوخ

نسائم الروح

قليلها كثير

بيروت
٢٠١٧

الإهداء

يا خادمَ الجسمِ كم تشقى بخدمته أتطلبُ الربحَ فيما فيه خسرانُ؟

أقبِل على النفس واستكمل فضائلَها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

إلى كل حائرٍ وضالٍ وشارد

وإلى من يشعر بأن في داخله جوهرة

يريد أن يعرف عنها أكثر

وأن يتنعم بمزاياها

إلى كل ذي روح

أهدي هذه النسائم

مقدمة

ما خلق الله تعالى الانسان إلا لغاية وما أطلقه في هذا العالم ليهمله، بل أبقى بينه وبين خلقه صلة علوية المصدر، لطيفة لا تثقل عليه، إذا أحسن عشرتها شعر بخفتها، وإذا غفل عن متطلباتها وصار أسير نفسه وهواه، شعر بثقل ما مال إليه، وتكدر لبعده عما وصله الله به.

طريقة الاتصال بالعالم العلوي واحدة، هي الروح، التي تشعرنا بقربنا من الله تعالى، وبعمق كلام الله العظيم، وبتأثير أرواح الأنبياء والمرسلين في أرواحنا، وأوّلها روح النبي ﷺ. ولا حصر بعد ذلك للثمرات والقدرات التي يجنيها العبد إذا صدق. ففي ذلك سعادة الدنيا وراحة الآخرة.

كيف تسمو الروح وماذا تتعلم وماذا تتنسم هذا هو الهدف من كتابة هذه الصفحات ولا يعرف قدرات روحه إلا من اطلع فأعجب فسعى وبحث وبذل.

الإسلام ليس دين عبادة وحسب، ولا دين عمل فقط، إنه دين البقاء على اتصال ومودة بين العبد وخالقه، يقول المولى تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } [مريم: 96].

فالجسم للعبادة وللعمل، والفكر للتأمل، والعقل للتدبر والتخطيط، والقلب لليقين والقرار والإصرار، وأما الروح فهي التي توصل النوايا والعبادات والأعمال إلى غايتها المثلى وهي الشعور بالقرب من الله تعالى. وكيف يتقرب العبد إلى ما لا يعرف! وكيف يتوق ويشتاق إلى من لا يحب! تلك هي المهام الجسام للروح.

لا ينبغي أن ندع العمر يمضي وينقضي والفرصة تفوت والأبواب تقفل قبل أن نطلع على قدراتنا الروحية الكامنة فينا، ففيها من الفوائد والعوائد ما يحير العقل ويشوق القلب ويرقق المشاعر وفيها النجاة.

فهنيئاً لمن قرأ فتفكر فاعتبر فتدبر فغيّر فاصطبر فظفر.

أسأل الله تعالى ان تساعد الصفحات التالية في إنارة دروب السائرين وهداية الحائرين وإرشاد الساعين ودلالة الباحثين، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

م.ف.

1–لمن تفتح أبواب السماء؟

الروح، الجزء الأسمى في الانسان، جوهر لطيف يدخل في الجسم الكثيف، فتدب فيه الحرارة، وتدور فيه دورات متداخلات، تجعل الهواء دواءً، والغذاء دماءً، والدماء علاجاً وشفاء.

الروح سرٌ عظيم من أسرار الخلق والحياة، نعجز عن الإحاطة بعلمه وعن السيطرة عليه أو حصره، يوم بعثت فينا، بعثت بأمر الله، ويوم تخرج منا، تخرج أيضاً بأمره، وليس لنا من الأمر شيء.

الروح وسيلة الصلة بالسماء، وحاملة رسائلَها من مثل وقيم، بدونها يتصرف ابن آدم كأنه أقرب إلى الحيوانية منه إلى الانسانية؛ هي موطن الشعور بعظمة الخالق وصَغار كل مخلوق.

حين تحل في الانسان تأتيه بالفطرة كاللبن النقي (الشرابِ الذي اختاره رسول الله ﷺ ليلة الإسراء)، فمن امتثل للفطرة السليمة سعِد وأفلح ونجا هو وهي؛ ومن وجّهها وِجهةً دنيّة وأمعن في إفسادها انغمست معه بالشهوات فخاب وشقي وخسر هو وهي كذلك.

مع الروح تنطلق بداية كل إنسان بداية سليمة مستقيمة فإذا انحرف أهله انجرف معهم، يقول نبينا ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه"[1].

[1] عن أبي هريرة، متفق عليه

وكم من الناس من انحرف وأهله صالحون، فكتب مصيره وحدد خاتمته بيده، يقول الله تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: 3].

خرجت الروح من العالم العلوي إلى عالم أدنى، عالمَ التجرِبة المحفوف بالمخاطر؛ فإن أحسن صاحبها صنعاً وعمل عملاً صالحاً، عادت وأعادته معها من حيث أتت، تقيةً نقية، طاهرة ظافرة، وإن أخطأ صاحبها وفجر، أفسدها ولوّثها فحال دون عودته ودون عودتها كذلك.

أخرج الإمام أحمد رحمه الله عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

" خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يُلحَد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتينِ أو ثلاثا ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه كأن وجوهَهم الشمس معهم كَفَنٌ من أكفان الجنة وحَنوطٌ من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدّ البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أُخرُجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القَطرة من فِيْ (فم) السِّقاء فيأخذُها فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طَرفةَ عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحَنوط

ويخرج منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وُجدت على وجه الأرض، قال فيصعَدون بها فلا يمرّون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الرُّوْحُ الطيب فيقولون فلانُ ابنُ فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيُفتَح لهم فيشيِّعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى".

قال: "فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملَكان فيُجلسانِه فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول ربيَ الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول دينيَ الإسلام فيقولان له ما هذا الرجلُ الذي بُعِث فيكم؟ فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما عملُك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي فافرُشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من رَوحها وطيبها ويُفسح له في قبره مَد بصره. قال ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه حسنُ الثياب طيّبُ الريح فيقول أبشر بالذي يَسُرُّك، هذا يومُكَ الذي كنتَ توعَد، فيقولُ له من أنت فوجهك الوجهُ يجيءُ بالخير فيقول أنا عملُك الصالح، فيقول ربّ أقم الساعة حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي".

قال: "وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة (أي عند الاحتضار)، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم

المسوح فيجلسون منه مَد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من اللّه وغضب قال فتُفرّق في جسده[1]، فينتزعها كما يُنتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذُها فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وُجدِت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الرُّوح الخبيث؟ فيقولون فلانُ بنُ فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا فيُستفتح له فلا يُفتح له. ثم قرأ رسول اللّه ﷺ: **[إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ]** [2]، فيقول اللّه عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتُطرح روحُه طرحا".

ثم قرأ: "{وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31]. فتُعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيُجلسانِه فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان له ما دينُك؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذّب

---

[1] قال تعالى في سورة الأنعام:[... وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ {93}].

[2] سورة الأعراف آية 40.

فافرُشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرِّها وسَمومها ويَضيق عليه قبرُه حتى تختلفَ فيه أضلاعُه، ويأتيه رجلُ قبيحُ الوجه قبيح الثياب منتِنُ الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءُك هذا يومُك الذي كنتَ توعَد فيقول: من أنت؟ فوجهُك الوجهُ يجيء بالشر، فيقول: أنا عملُك الخبيث فيقول ربِّ لا تُقِم الساعة".[1]

(والرُّوحُ يُذكَّر ويؤنَّث، وهو جوهر لطيف نورانيّ يكدره الغذاء والأشياء الرديّة الدنيّة، مدرك للجزئيات والكليات، حاصل في البدن، متصرف فيه، غني عن الاغتذاء، بريء من التحلل والنماء، ولهذا يبقى بعد فناء البدن، إذ ليست له حاجة إلى البدن، ومثل هذا الجوهر لا يكون من عالم العنصر، بل من عالم الملكوت. فمن شأنه أن لا يضره خلل البدن، ويلتذ بما لا يلائمه، ويتألم بما ينافيه، ودليل ذلك قوله تعالى: **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }** [آل عمران: 169]، وقوله عليه الصلاة والسلام: "إذا وُضع الميت على نعشه رفرف روحه فوق نعشه، ويقول: يا ولدي ويا أهْلِي".

فإن قيل: كيف يفسر الروح وقد قال تعالى: **{قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}** [الإسراء: 85]، أُجيب بأن معناه من الإبداعات الكائنة بـ"كن"، من

[1] وروى أحمد مثله مختصراً عن أبي هريرة.

غير مادة، وتولد من أصل، على أن السؤال كان عن قدمه وحدوثه، وليس فيه ما ينافي تفسيره).[1]

لذلك وطالما أن مسألةَ الروح هي على هذا القدْر من الأهمية ومعها يتقررُ المصير، وأيُّ إهمالٍ لشؤونها قد يشكِّل درجةً عاليةً من الخطورة، فحريٌّ بنا أن نوليَها اهتماماً كبيرا، وأن نُصغيَ إلى نداء الروح الزكيّة ونلبّيَ متطلَّباتِها العليّة، فتنجوَ وننجوَ معها.

للروح نسائمُ هي بمثابةِ دعوةٍ سلسةٍ إلى مشاعرَ راقية، تؤدي إلى جنةٍ عالية، لا تسمعُ فيها لاغية؛ فهل لنا إلى جلسات متتالية، نتكشف فيها أوجهَ الروحِ وآثارَها في أداء الأنبياء والرسل والصالحين؟ نسألُه تعالى أن نكون ممن يغتنمون الفرصة، فيستمعون الحكمة ويتعظون من أخبار سادة القوم. والله الموفقُ لكل خير، وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

[1] كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (8/ 170)، للشنقيطي. وشرح أبي داود، (2/ 330)، وعمدة القاري في شرح صحيح البخاري، (5/ 88)، كلاهما للعيني.

2- الروح من أمر ربي

حين عجَز مشركو قريش عن التصدي لدعوة النبي ﷺ، لجأوا إلى أحبار اليهود في المدينة يسألونهم النصح فيما يعرفه اليهود من عميق الكلام في التوراة؛ فأعد الأحبار للنبي ﷺ ثلاثةً من أصعب الأسئلة، لا يجيب عنها إلا نبيٌ مرسلٌ من السماء، أسئلةٌ تكشف زيغَ المدعين وتُظهر عجزَ المتنبئين. قال الأحبار لزعماء قريش: (سلوه عن فتيةٍ غابوا في الزمن الأول، وعن الرجل الطوّاف الذي طاف البلاد) ثم السؤالُ الثالثُ الكمين: (سلوه عن الروح)؛ وكان ظن الأحبار أن نبيَّنا ﷺ لن يفلحَ في الإجابة عن الأسئلة الثلاثة، فهي مما يُخفوه حتى عن أتباعهم ولا يتوارثه إلا كبار الأحبار فيما بينهم.

والإجابة عن الروح بكلامٍ هي عينُ الخطأ، والشرحُ والتفصيلُ فيها مثارٌ للجدل، والشيطان يكمن في التفاصيل. ولأن الصادقَ المصدوقَ ﷺ لا ينطق عن الهوى ولا يتكلم إلا بما يوحى إليه، فقد لجأ إلى ربه سبحانَه طالباً الإجابة.

وبدلاً من أن تكون المواجهة بين النبي الأمي وبين الأحبار من يهود، شاء المولى العليُّ القدير أن يجعلَها بينه تعالى وبين تلك الحَفنة ممن يخفي الكثيرَ من آيات التوراة ولا يظهرُ منها إلا ما ينفعُهم ويَدُرّ عليهمُ المكاسب، فتأخر الوحي أولاً، مما غرّ قريشاً ومَن وراءَهم بأن النبيَّ أعيته

الإجابة، وأنه ليس برسولٍ ولا نبي، وكان ذلك استدراجاً من الله تعالى لأعدائه إذ أنهم شيعوا خبر تأخر الوحي، وتنادوا مستكبرين واستغلوا الحادثة لمزيد من التعالي والتفاخر على الناس، فانتشر الخبر واشتهر.

وإذ بقول الله تعالى ينزل بالإجابات الثلاث: عن الفتية أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، نقرأ عنهما في سورة الكهف، وكان وقع المفاجأة الثالثة بليغاً، جاء في سورة الإسراء: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }** [الإسراء: 85].

والمعنى، أنكم أيها الأحبار تعلمون جيداً أن هذا الجوابَ مطابقٌ لما تخفون من التوراة، وأنكم لن تنالوا شرفَ الجدال مع هذا النبي المؤيَّد، ولا شرفَ التعرّفِ على هذا السر السامِي الخطير.

والحقيقة أن الذين نالوا هذا الشرف فيما بعد هم أصحابُ النبي الكرام الذين آمنوا به واتبعوه وعزّروه ونصروه، إذ صارت مفاعيل الروح تدخل إلى أرواحهم وتَعلَق في قلوبهم تباعاً عبر آيات الله تعالى وبشرح رسوله ﷺ لهم، وبتزكيته لنفوسهم بما يتناسب مع قدراتهم القلبية والعقلية، بحيث يؤمنون ولا يُفتنون ويستيقنون ولا يَضلون.

ومن يتسقّط العلومَ التي استقاها الصحابة الكرام من النبي ﷺ عن أرواحهم وعن طاقاتهم الروحية، يجدْ أنه قد عثر على كنزٍ ثمين، بل لا يقدر بثمن، خفي على غير المسلمين ولا يتذوقُه إلا من قد آمن. وقد أظهره الله

تعالى على لسان نبيه ﷺ بطريقة عمليةٍ سلسةٍ مستساغة، يفهمها المصدقون ويطبقها الموفقون، ولا يعيها إلا من يُرِدِ الله به خيرا.

ها هو النبي ﷺ يسأل حارثةَ الصحابي رضي الله عنه وهو أحد الذين فهموا ووعوا وطبقوا، مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: " كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟ " قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: " انْظُرْ مَا تَقُولُ إِنَّ لِكُلُّ حَقٍّ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ " قَالَ: عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، (وفي رواية: واستوى عندي حجرُها وذهبُها)، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، (في رواية) قال رسول الله ﷺ: عبدٌ نوّر الله قلبه، قَالَ: " يَا حَارِثَةُ، عَرَفْتَ فَالْزَمْ " – قَالَهَا ثَلَاثًا –[1].

وبمزيد من العجب أن نسمع عن القدرات الروحية للنبي ﷺ من عدوِّ الله وعدوِّ رسوله أبي جهل الحكمِ بنِ هشام، فقد جاء في السيرة: أن رجلاً مِنْ إِرَاشٍ [وإراش بطنٌ من قبيلة خثعم] جاء بِإِبِلٍ لَهُ إلى مَكَّةَ، فَابْتَاعَهَا مِنْهُ أَبُو جَهْلٍ، فَمَطَلَهُ بِأَثْمَانِهَا (أي تأخر عليه بدفع الثمن). فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيُّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ جَالِسٌ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَنْ رَجُلٌ يُؤَدِّينِي [أي يعينني] عَلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، فَإِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ، ابْنُ سَبِيلٍ، وَقَدْ غَلَبَنِي

[1] شعب الإيمان (13/ 159).

عَلَى حَقِّي؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ: أَتَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ الْجَالِسَ– لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يَهْزَءُونَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ مِنْ الْعَدَاوَةِ– اذْهَبْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يُؤَدِّيكَ عَلَيْهِ.

فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيُّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا الْحَكَمِ بْنَ هِشَامٍ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقٍّ لِي قِبَلَهُ، وَأَنَا (رَجُلٌ) غَرِيبٌ ابْنُ سَبِيلٍ، وَقَدْ سَأَلْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ رَجُلٍ يُؤَدِّينِي عَلَيْهِ، يَأْخُذُ لِي حَقِّي مِنْهُ، فَأَشَارُوا لِي إِلَيْكَ، فَخُذْ لِي حَقِّي مِنْهُ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ، قَالَ: انْطَلِقْ إِلَيْهِ، وَقَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ مَعَهُ. قَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُمْ: اتْبَعْهُ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهُ فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ. فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَاخْرُجْ إِلَيَّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَمَا فِي وَجْهِهِ مِنْ رَائِحَةٍ [أي بقية روح] ، قَدْ انْتُقِعَ لَوْنُهُ، فَقَالَ: أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ، قَالَ: نَعَمْ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى أُعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ، قَالَ: فَدَخَلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ لِلْإِرَاشِيِّ: الْحَقْ بِشَأْنِكَ، فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيُّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ: جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذَ لِي حَقِّي.

وَجَاءَ الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثُوا مَعَهُ، فَقَالُوا: وَيْحَكَ! مَاذَا رَأَيْتُ؟ قَالَ: عَجَبًا مِنْ الْعَجَبِ، وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَا مَعَهُ

رُوحُهُ فَقَالَ لَهُ: أَعْطِ هَذَا حَقَّهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى أُخْرِجَ إِلَيْهِ حَقَّهُ، فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَبُو جَهْلٍ أَنْ جَاءَ، فَقَالُوا (لَهُ) وَيْلَكَ! مَا لَكَ؟ وَاَللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتُ قَطُّ! قَالَ: (وَيْحَكُمْ، وَاَللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيَّ بَابِي، وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ، فَمُلِئْتُ رُعْبًا، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلًا مِنْ الْإِبِلِ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ، وَلَا قَصَرَتِهِ [قاعدة عنقه] ، وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، وَاَللَّهِ لَوْ أَبَيْتُ لَأَكَلَنِي)[2].

ذاك صحابيٌّ عرجت روحُه إلى السماء كأنه يرى العرشَ ويرى الجنان، ويرى النعيمَ ويرى العذاب، وهذا عدوٌّ مشركٌ من أعداء الله ورسوله، يرى بعينِ عينِه ولا يرى ذلك غيرُه، غضبَ الروح المحمدية تتمثل له بما يخاف هو منه ويرعبه.

روحٌ جوابةٌ في الأكوان وروح مهابةٌ على الأرض، تلك اثنتان من مزايا الأرواح.

فالروح وإن كانت تحلُ في جسد، خفيفةٌ لطيفةٌ طليقة، فإنها تجوب الأكوانَ وتخترق الحجب، قدراتُها عجيبة لمن كان له عند الله شأن، ففي سورة النمل، يذكّرنا الله تعالى برجلين عند كل منهما علم خاص وله قدراتٌ روحية حباه الله بها، يقول سيدنا سليمان عليه السلام عن بلقيس الملكة: **{قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي**

[2] سيرة ابن هشام ت السقا (1/ 389).

مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)} [النمل].

ما ذكر المولى تعالى هذه القصةَ في القرآن الكريم إلا ليفهمَ الناسُ أن للنبي المؤيد وللولي المعتمد خصائصَ روحية يخُصّ الله تعالى بها من يشاء من عباده. روحٌ تجول في الأرض وروح تجوب في السماء، روح تظهَر للمؤمنِ بعينٍ رضيّة وعلى الكافر بعينٍ رزية، روحٌ قادرةٌ على التشكل، وروح تتصرف بالموادِّ والأجسام فترفعُها بطرفة عين.

إلى مزيد من خصائص الروح وقدُراتِها فيما سيأتي، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

3- وما أوتيتم من العلم إلا قليلا

(الروح في القرآن الكريم)

من نظر في كتاب الله الكريم استرعت كلمةُ الروحِ انتباهَه في مواطنَ كثيرة؛ يجد أنها تحمل معاني عديدة، فمرة يطابق اسمُها معناها: روحٌ بثها المولى تعالى في ابن آدم فبعث فيه الحياة، وروحٌ تتحسس حقيقة الخلق وتشتاق إلى الخالق الحق، كأنها صلة الوصل بين السماء والأرض، وفي موضعٍ آخرَ من القرآن الكريم يمتزج معنى الروح مع معنى النفس، وقد تعني الروحُ سيدَنا جبريلَ في سورة أخرى، كما قد تعني صفوةَ الملائكة، ولربما عنت صفوةَ الصفوةِ منهم.

ولو شاء ربنا لقصَر كلمة الروح على معنىً واحد، لكن لله في ذلك شؤون، وهو أعلمُ وأحكم، فلربما قصد التنويعَ حتى نفهم أن ليس للروح سرٌ بل أسرار، وأننا مهما بلغ بنا الفهمُ والعلم، لن نستطيعَ أن نجدَ للروح حداً وبعدا، ولربما قصد التعبير بالمتشابه ليكشف زيغ الذين في قلوبهم مرض، الذين يؤوِّلون عباراتِ القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وسنعمَد اليوم إلى تفهّمِ بعضِ الآياتِ البينات المتعلقةِ بالروح بلا لبَسٍ ولا تأويل، وبما لا يقبلُ التماديَ ولا التضليل.

بدأت قصة الروح مع أبي الأنبياء آدم، نفخ الخلاق االعليم، في الجسد الترابي البهيم، سراً من عنده، حرك في الجسم المفاصل، وأجرى في

قنواته السوائل، ونظراً لعظمة هذا السر أمر الله تعالى ملائكته ان تسجد لآدم تكريما، ولبديع صنع الله تعظيما، فامتثلت الملائكة وسجدت إلا إبليس؛ قال تعالى: **{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78)}** [سورة ص].

لم يفقه إبليسُ السر، نظر إلى ابن آدم فوجده من طين فاستعلى على التراب، وغفَل عن الروح التي بثها رب الأرباب، ولم يتوقف الأمر عند إبليس في ذلك اليوم فكثير من الإنس والجن وإلى يومنا هذا يأنفون من السجود لله، ومن الاعتراف بهذا السر الوقاد، الساري في الأجساد.

ونأتي من أبي الأنبياء آدم إلى أبي المسلمين إبراهيم، عليهما السلام، اصطفاه الله تعالى بالنبوة والرسالة فأراد أن يستزيد، فسأل الله تعالى أن يريَه كيف يَبُثُّ الروح، قال تعالى: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }** [البقرة: 260].

حكيم عزيزٌ وسِرُّه عزيز، يستعصي على العبد المخلوق معرفةُ كنهِ الروح، لكن بإمكانه أن يلحظَ مفاعيلَها. في قصة البقرة، التي تحمل السورة اسمَها، يأمر الله تعالى نبيَّه موسى أن يذبح بقرةً بعينِها وان يضربَ بعضَها بجسدِ قتيل، لتعود الروح إليه لفترةٍ تكفي ليكشف للناس هُويةَ قاتلِه.

وأما في قصة سيدنا يونُس وهو في بطن الحوت، فقد بلي جلدُه عليه السلام، ومعنى ذلك الموتَ المحتم، وإذا بربنا سبحانه وتعالى يقول: **{فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144)}** [الصافات]. مشيراً إلى قدرته عزّ وجلّ على تغيير سنن الخلق وعلى حفظ الروح في الجسد إلى يوم القيامة لو شاء، سبحانه.

نعرف المزيد من مفاعيل الروح كذلك في قصة حمل السيدةِ مريمْ وولادتِها لابنها المسيح عليهما السلام، سيدةٌ طاهرة عابدة صوامة قوامة، تحمل بأمر الله بدون زوج يقربها. ومع فتية الكهف نجد ان الروح قد خمدت لتعود وتتقدَ فيهم بعد ثلاثمئةٍ وتسعِ سنين.

وأما ناقة صالح فقد خرجت من جماد، بلا رحمٍ وبلا نموٍ مضطرد ، فما العبرة من كل ذلك؟ مع آدم نُفخت الروح في الجسد الترابي ومع عيسى نُفخت في جسد الأم بدون أب فحملت بالولد. ولئن خُلِق عيسى بدون أب فإن آدم قد خلق بلا أبٍ ولا أم، وفي إحياء الموتى مع موسى وعيسى

عليهما السلام، دليلٌ على أن إحياءَ الموتى لا يكون إلا بقدرة الخالق جلّ وعلا، ولا فضل للأنبياء فيه إلا بإظهار هذه القدرة الإلهية على أيديهم. ومع فتية الكهف تخمُدُ الروح مئاتِ السنين ثم تعودُ كما كانت وتحفظ على الراقدين ليس اجسادَهم فقط بل وعيَهم وذاكرتَهم ونطقَهم ومنطقَهم. والعبرة من تلك القضايا أن مصدر الحياة ليس أباً ولا أماً ولا طبيعةً، وأن التعظيم لا ينبغي أن يكون إلا للخالق الذي نفخ الروح وليس للمخلوق الذي بُثت فيه الحياة ولا للنبي الذي أجرى اللّهُ المعجزةَ فيه أو على يديه.

وتأتي الحكمة البالغة مع بعثة سيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولا، وذلك في المكمن الذي نصبه له أحبار اليهود، للإيقاع به وفي محاولة للتشكيك بنبوته، وقد سبق أن ذكرنا ذلك بتفصيل، فقد أوعزوا إلى المشركين من قريش أن يسألوا رسولَ الله ﷺ عن الروح، ظناً منهم بأن إجابتَه ستكشِف عجزاً وجهلاً، وستفتح باباً للجدل والنقاش ولارفضاض المؤمنين عنه، فينفُذُ منه الأحبار ويتعالون بعلمهم على النبي ﷺ وعلى المشركين.

وتأتي المفاجأة الإلهية، بتأخر الوحي، ليفهم من يريد أن يفهم، أن الأمر ليس بيد الرسول مهما علا شأنه، ثم يأتي الجواب حاسماً، قاطعاً على الأحبار طريق الجدل بقوله تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ**

أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: 85]. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لاَ تَسْأَلُوهُ.[1]

قيل في الروح والنفس الكثير، قال أبوالدرداء رضي الله عنه: (إذا نام العبد عرج بروحه حتى يؤتى بها إلى العرش، فإن كان طاهراً أذن لها بالسجود).[2] ولا عجب فالله يتوفى النفس عند كل نومة، فيقبض بعضها إليه، ويعيد بعضها إلى الحياة، قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر: 42].

قال مقاتل: (للانسان حياة وروح ونفس، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء، ولم تفارق الجسد، بل تخرج كحبل ممتد له شعاع، فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه، وتبقى الحياة والروح في الجسد، فيه يتقلب ويتنفس، فإذا حرك رجعت إليه أسرع من طرفة عين).[3]

أول رسالة للروح هي أنها أمر خص الله تعالى به نفسَه، ولم يُطلِع على بعض أسرارِها إلا القليلَ القليل، والرسالةُ الثانية أنها لا تأتي إلا بأمره ولا تعود إلا بأمره، والثالثة أنها جاءت منه إشارةً إلى بدء الحياة وإليه تعود، علامةً على انتهاء الأجل، والرابعةُ أنه ليس لأحد غيرِه تصرفٌ فيها ولا تدبير، والخامسةُ أنها تأتي بـ"كن" وتذهب بـ"كن" وسرعةُ

[1] صحيح البخاري (9/ 136)،عن عبد الله.
[2] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3/ 272). ذكره ابن مندة في كتاب الروح.
[3] الروح لابن القيم ص256. (مقاتل بن سليمان، من صالحي التابعين توفي سنة 105هـ).

حضورها كما سرعةُ ذهابها، كما بين الكاف والنون، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

الروح ليست من أمر نبيٍ ولا رسولٍ ولا ولي، سرٌ عظيم من أسرار الخلق، تفرّد بها الخالق وحدَه، نستشعر بها؟ نعم ولكن لا نحيط بعلمها؛ نتلمس مفاعيلها؟ نعم ولكن لا يمكن تلمُّسها، نجول في رحابها؟ ممكن لكن ليس لها حدود تحدُّها ولا أبعاد تقيّدُها.

أعيَت الروح الفلاسفة وحيّرت الأطباء وشغلت العلماء، وما تجاسر أحدُ على البحث عن كنهها إلا ضلّ وأضلّ، ولربما خرج عن دينه وتاه في شواغل نفسه مهما نبغ عقله، وما اعتبر أحد من آثار الروح وأحسن فهم مقاصدها، كما فعل أنبياء الله ورسلُه وكما اقتدى علماءُ الأمة وأولياؤها من السلف الصالح، إلا زادته من الله قربا وعن الضلال بعدا.

إنها هدية الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي يموت. ولا يخوض في كنهِ الروح وذاتِها إلا جاهلٌ أو مكابر، لكن يُفلِح من يتتبعُ آثارَها، من نبعِ الهدى سيدِنا محمدٍ عليه الصلاة والسلام، فالإرثُ النبوي زاخرٌ بالمآثر، وأخبار السلف الصالح غنيةٌ بالنوادر. ولا نملك أخيراً إلا أن نردد، مذعنين مستجيبين، قولَ الله تعالى: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [البقرة: 285]. اللهم دلَّنا بك عليك، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، ولا تكلنا إلى انفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت سبحانك.

4- نسائم الروح

يجلس بعضنا إلى بعض نتحادث، نصغي مرة ونتكلم مرة، ثم ينصرف كل منا إلى وِجهته، كم مرةً توقفنا بعد الانصراف وتساءلنا ماذا جنينا من هذا اللقاء وماذا بقي لنا منه، عبرةٌ أو فكرةٌ أو علمٌ جديد، ولربما حزنٌ وضيقٌ وكربٌ شديد. من يدري كم حصّل أحدنا من الخير أو ترسّب في نفسه من الشر عند كل لقاء.هل كان لقاءً لأجساد، تبادلت الشرابَ والطعام كالأنعام، أم كان لقاءً للجوارح سمعت وأبصرت وجرحت بالكلام فلطّفت، أو نمَّت وآذت، وسعت بالخير أو بالشر، هل تساءلنا عما يجري للأرواح والأنفس عند كل لقاء؟

الانسانُ الانسان، لا يقف عند الكلام والطعام فحسب، بل ينظر إلى دواخله من وقت لآخر هل يشعرُ براحة النفس وسكينة القلب، هل يستبشرُ متفائلاً؟ أم إن صدرَه يكاد ينفجر من الضيق ولا تسَعُه ثيابُه وكأن منزلَه يكاد يطبق عليه من اليأس والكرب والقنوط.

إنها الروح، الطاقة الخفية الرحبة التي لا يحدُّها مكانٌ ولا زمان، تُسجن في صدر الإنسان الذي لم يعلم ولم يعلّمْه أحد أنها طائرُه الذي يمكّنه من التحليق في أرجاء الكون الواسعة ولربما قادته إلى عالمٍ أرقى وارحب إلى العالم العُلوي النقي حيث لا غيبةَ ولا نميمة، حيث لا مكرَ ولا خداع،

حيث النوايا الصافية والقلوبُ الطاهرة، السليمة من كل حقد وحسد، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أول علامات الرضى عن المؤمن، حين يقولُ ويشهد لنفسه وعلى نفسه من قلب صادق وعقل حاذق: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أن أبوابَ السجن قد فُتِحت، وأن الصدر قد انفسح، وأن طائر الروح قد تحرر؛ فتدمعُ العين وترتجف البوادر، وتكاد الرِجلان لا تقويان على حمل صاحبهما. إنها اللحظة الفاصلة الحاسمة التي تجب ما قبلها من آثام وتفتح الباب إلى الرحمن.

تلك هي مؤشراتُ الروح، لا قلبَ ولا عقلَ ولا جوارح، هي فوقَ القلب وفوق العقل وفوق الجوارح، إنها تطير إلى ملكوت رب العالمين، تحلق في فضاءٍ لا تصل إليه طائرة ولا مركبةٌ فضائية هي فوقَ الكواكب وأبعدُ من النجوم.

وثاني علاماتِ الرضى: روحٌ مستنيرة تُطمئِن بالَه وتزيلُ قلقَه، قال الله تعالى: **{ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا؟ ..}** [الأنعام: 122] . نورٌ يريح القلب ويزيل الهم ويكشف الكرب. نور ينبيء العبد التائب أنه كان تحت غلالةٍ سوداء، حجبت ليس نورَ الشمس بل نورَ الحق ونورَ الحقيقة.

وثالث علاماتِ الرضى الإلهي، هو نور هذه الروح الذي يمنح صاحبَها القدرةَ على التمييز بين الحق والباطل، روت أم سلمة عن النبي ﷺ: "إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له واعظًا من نفسه: يأمره وينهاه"[1]. روح تلازم المرء وتراقب فيه الاستقامة وتحفظ له العزة والكرامة.

ثم تتعاظم هذه الكرامة كلما زادت الاستقامة، فتصبح الروح كشّافة، بما يحاك عرّافة، يقول نبينا ﷺ: " اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ"[2]. حاشى أن يطلب المؤمن العون من الله ولا يعان، إذ من كرامة الله تعالى على العبد الذي يُغمض عينَ الرأس عما حرم الله وعينَ العقل عما يحاك من مكر ودسيسة، ويستغرقُ في التفكر والتذكر والتدبر، أن يفتحَ الله له عينَ قلبه التي تدعى البصيرة، وهي الروح التي ترى فوق ما يراه الناظرون، البصيرةُ تعي حقيقةَ الحقيقة وما وراءَ الأحداث، والحكمةَ من كل أمر، لأنها عرفت الله فعرّفها مصلحتها، رفعها حين تخلت عن النقائصِ وكشف لها الأرقى والأسمى من هذا العالَم ومن عوالم أخرى كل بحسب جِده واجتهاده ومجاهدته.

قد تستوقفُ الانسان أحياناً، طنّةٌ في اذنه ، فيظنها ألماً أو رجفةً أو صدى، ولربما كانت رسالةً روحية: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا طَنَّتْ أُذُنُ

---

[1] شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية (2/ 96)، وأبو نعيم في الحلية (264/2) عن أم سلمة.

[2] سنن الترمذي (5/ 149)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، والطبراني في الأوسط عن أبي امامة.

أَحَدِكُمْ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ اذْكُرْ بِخَيْرٍ مَنْ ذَكَرَنَا بِخَيْرٍ»[1]. إنه جرسُ روحه الذي يرِن، على أذنه يطِن، قد لا تبلُغه تفاصيل الرسالة لأنه لا يزالُ يعاني من حجب الخطايا السابقة ولو جلا مرآة القلب لتلقّى الرسالة واضحة كما يقول شراح الحديث التالي. يقول عليه الصلاة والسلام: " ألا إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها تلاوةُ القرآن"[2].

كم من مرة يخطر احدهم في بالك وإذ به يطرق على بابك او يَرِن منه جرس هاتفك، أو تأتيك منه رسالة أو يصلك عنه خبر! لا تعجبن يا أخي فالأرواح تتواصل عن بعد وقبل أن تتقاربَ الأجساد، يقول رسول اللّه ﷺ: "إن أرواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يوم، ما رأى أحدُهم صاحبَه قَطُّ".[3]

وقد يتساءل البعض: أبمجرد التفكير بشخص ما، تصله الرسالة؟ نعم وبقليل من التركيز، وبشيء من المحبة، والتركيز ضرورة، إذ كيف للانسان اللاهي المشغولِ دائماً بالصغائر، أن يُصفِّي فكره وينقيَ قلبَه، حتى تصلَه الرسالة الواضحة. وأما المحبة، فهي موجة الأثير التي تحمل الرسالة وهي من أسرار قوة الروح كما سيأتي معنا.

يذهب بنا رسول اللّه ﷺ أبعد من ذلك فيعلمنا أن الأرواح لا تتلاقى لمجرد التلاقي، بل تجوبُ الكون بحثاً عمن يتجانس معها، ويتوافق مع

---

[1] الطبراني عن أبي رافع.
[2] البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر.
[3] مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو.

أهدافها، فللمؤمنين تلاقٍ وللفاسقين تلاقٍ روحي وقبل لقاء الأجساد، وما يتوافق ينساق وما يختلف يتنافر ويتباعد، وفي الحديث: "الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها إئتلف،وما تناكر منها اختلف"[1].

كيف تتعارف الأرواح المتناسبة؟ إنها تشُم بعضها بعضا يقول الإمام علي (إنها تشام) ويقول ابن مسعود رضي اللّه عنه (انها تتشام كما تشامُّ الخيل)[2]، أي يقترب الجواد من الآخر رويداً رويدا، ويثبّت كل منهما نظرَه في الآخر، حتى تتلامس الأنوف فيشم كل منهما رائحة الآخر فإما أن يسكُنا ويترافقا ويتبخترا، وإما ترى لهما نفخاً وصهيلاً وترافسا، ولربما عض أحدهما عنقَ الاخر.

والأرواح المتناسبة لا تكتفي بالتعارف، بل تتجاذب وتترافق وتأنس لبعضها، فعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رضي اللّه عنه، قَالَ: (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلَاقَى فِي الْهَوَاءِ فَتَتَشَامَّ كَمَا تَتَشَامُّ الْخَيْلُ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ وَلَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا جَاءَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةُ مُنَافِقٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَقُيِّضَ لَهُ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ)[3]. فإذا تحررت الروح من قيدها وعقالها تم اتصالها، فتصبح مطلقةً سيارة، تجوب الأكوان،

---

[1] (البخاري) 3158 , (مسلم) 159 - (2638) , (أبو داود) 4834 , (أحمد) 7922

[2] البيهقي، شعب الإيمان (11/ 339).

[3] شعب الإيمان للبيهقي، وروي مثله عن الإمام علي وعن الإمام جعفر الصادق مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

تستطلع الأماكن قبل حلول الأجساد فيها، وتستشرف مجالس الطيب قبل انعقادها.

من المؤسف أن يعيش المرء ثم ينتقل إلى عالم البرزخ ثم إلى العالم الآخر ليكتشف أنه كان مزوداً بجهاز عظيم خارق وفاعل ومؤثر لكن بعد أن فات أوان استعماله ويا للأسف.

أن نعيش باجسادنا فهذا أول استعمال وأقلُّه أثراً، وأن نعيش بعقولنا وفكرنا فهي حياة أفسحُ وأسعد، وربما كانت أبأسَ وأنكد، أما أن نحيا بقلوبنا وأرواحنا في مُناخ من الصفاء والنقاء، والهدى والتقى، والطهر والعفاف، فهذه حياةٌ خالدة لا موت بعد الموت الأول، يجمع العبدُ بها الراحةَ في الدنيا والفوزَ بالآخرة.

5- روح النبوة

ما سمع به صاحب قلب إلا أحبه، ولا رآه مظلوم إلا وجد فيه منقذه، ولا رأته عين صادقة إلا عشقته، ارتاحت عنده النفوس، وانشرحت له الصدور، وتحركت له الأفئدة، وتفتحت من حكمته العقول.

أطلق الله تعالى به الأرواح من سجونها والقلوب من أقفالها والنفوس من ظلماتها والعقول من قيودها.

اصطفى الله تعالى خيرة خلقه ليكونوا للناس مبشرين ومنذرين، واصطفى الأصفى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لحمل الرسالة التامّة المتمّة، وسخر لذلك خيرة ملائكته لقوله جلّ وعلا:**{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ}**،[النحل-2].

من يدرس السيرة النبوية الشريفة العطرة مدعّمة بما أنزل من آيات الذكر الحكيم بحقها، يرى أن العناية الإلهية بنبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، كانت عناية شاملة: عناية بالنسب الطاهر وعناية خَلقية بكمال الجسم وكمال العقل وكمال الطلعة البهية، وعناية بالنشأة المثالية من حلم وأخلاق وتربية وفصاحة. وعناية مكانية وزمانية في أقدس مكان وأدق زمان حين أصبحت الانسانية في أمس الحاجة إلى المنقذ المخلص.

وفوق كل ذلك تأتي العناية الأسمى وهي العناية الروحية التي ستجذب الناس إليه وتجذبهم معه إلى معرفة الله وإلى حب الله وإلى الشوق إلى لقاء الله.

والروح متحركة وقوية نشطة، إذا دبت في الانسان تنسيه الراحة والاستكانة، تشغل الانسان عن الطعام والشراب، ولا ينام إلا بمقدار، يكثر من صومه وتطول صلاته، ينفق المال بلا تردد ويقلّب الوجه في التهجد.

فلو نزلت الروح بهذه القوة في محمدٍ الفتى لأضنته، ولو كشفت له الغطاء دفعة واحدة لأعيته، وهنا تظهر حكمة الله المُقيت الذي ينزّل كل شيءٍ بمقدار، فتقوى الروح في هذا النبي المختار شيئاً فشيئاً بحسب ما يحتاج إليه وما يطلب منه.

ظهرت بوادر العناية الروحية بالنبي الأكرم، ﷺ، بالبركة التي أحاطت بهذا الرضيع اليتيم ثم الغلام الحليم، وبمن أرضعه وآواه، وبمن تكفل به ورعاه، وأعطته الشهرة الذائعة في الصدق والأخلاق من قبل أن يبعث نبياً حتى تكون شاهدة على سموّ نبله ورجاحة عقله.

رعى الغنم في صباه فأحب الهدوء والعزلة والتفكر والتأمل، ورافقته العناية الربانية الروحية طيلة شبابه فاتصف بالحلم والرأفة وآثر الخلوة والوحدة، إلى أن أنعم الله عليه بزوجة تفرست في تصرفاته ووجدت فيه

صفات حميدة قلما تجتمع في رجل واحد، فحين تقوى الروح تعزف النفس عن الاختلاط بالناس، ويميل المرء إلى العزلة والصمت والتفكر، يقل الطعام ويندر المنام ويكثر السجود للرب المعبود، فيرق حجاب القلب، وتنجلي مرآته، وتتفتح البصيرة وهي منفذ الروح ، فيتحسس العاشق الليل إذا عسعس ويستنشق رَوْح الصبح إذا تنفس.

اعتزل نبينا ﷺ، الناس أياماً وشهورا، بل لسنوات أغمض فيها عين الرأس ففتحت له عين القلب، نقلته إلى الفضاء الأرحب حيث لا صخب ولا نصب، ولا حقد ولا حسد، حيث لا تسمع إلا نداء الروح أن لا إله إلا الله.

وفي سن الأربعين نزل أول الوحي على رسول الله ﷺ، هذه السن المفصل، التي يسهو عنها كثير من الناس، تنتاب الانسان غفلة بدلاً من الصحوة فيسرف على نفسه في اللباس وفي المقتنيات وحتى في اللهو والترف وأحياناً في الشراب ومصاحبة الغانيات، بدلاً من أن يبدأ بتغذية روحه وبالعناية بها، فهل من موعظة لنا في ذلك؟

نعم جاءت من الله تعالى في سورة الأحقاف، قال تعالى: **{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا**

وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (16)}.

نعم إنها السن التي ينبغي على الانسان عندما يبلغ الأربعين أن تكون له وقفة مراجعة! هل عرفت وظيفة روحي؟ وهل أحسنت توظيفها؟ تكاد تكون الوقفة الأخيرة قبل فوات الأوان.

وبسبب عظم المسؤولية والأمانة التي سيحملها هذا النبي الفذ، كان لا بد من تدريب روحه حتى تقوى على تلقي الوحي، ليظهر سيدنا جبريل أخيراً ويبلغ رسول الله بقول الله تعالى: إقرأ بسم ربك الذي خلق. لقد أصبحت روح النبي ﷺ قادرة على المواجهة، إنه اللقاء الأول بالملك وستليه لقاءات تتكرر على مدى ثلاثٍ وعشرين سنة إلى أن يلقى الله تعالى.

ويزداد تعلق النبي بربه سبحانه، ويشتد طلب روحه لمناجاة ربه، حتى قالت قريش: (محمد عشق ربه). وهاجت قريش وتصدت للمؤمنين الأوائل، واخذت تنكل وتتنكر، إذ لا يمكن للمشرك ولا الكافر أن يخوض في مثل هذه الأمور لا بل لا يمكنه ان يستوعب أمور الروح وهو الذي تعلق بالدنيا وخاض في الفساد إلى أذنيه فعاقر الخمر وأوغل في الزنا وأكثر من الربا.

ولهذ كان المشركون على مر الأزمان يصفون الأنبياء والرسل إذا ما وجدوا لديهم ذلك الصفاء الروحي واليقين الإيماني بالجنون أو الكهانة أو الشعر أو السحر. فقالوا لسيدنا هود: **{إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}** [هود: 54]. وقالوا عن سيدنا نوح: **{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ}** [القمر: 9].

وكذلك فعل مشركو قريش، المتعلقون بالمادة، على الرغم من وفرة عقولهم، فما أن رأوا من النبي ﷺ صفاء الروح وإصرار اليقين حتى وصفوه بالكاهن والشاعر والمجنون قال تعالى فيهم: **{ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ}** [الدخان: 14] وزكاه الله تعالى وبرأه مما قالوا في عدة آيات كريمات فخاطبه مطمئناً: **{فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ}** [الطور: 29]. كما قال له: **{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)}** [القلم].

كانت روح النبي ﷺ قويةً جداً، متعطشة للمزيد، لا تهدأ ولا تستكين، فإذا تأخر الوحي لبضعة أيام ضاقت عليه الأرض بما رحبت، بكى وانتحب، لقد ذاقت الروح لذة لا يعرفها أهل الدنيا، لذة تعلو على كل لذة وتفوق تنعم أهل الجنان بالجنان، إنها لذة الصلة بالله تعالى.

ولم يكن الأمر لا جفوة ولا عقوبة، بل تمرساً وتعليماً ثم يعود الوحي، وتنزل سورة والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى، فيشتد العشق ويهيج الهيام.

وتصمد الروح المحمدية امام امتحانات متتالية، فتقاطع قريش النبي وآله وعشيرته ومن آمن معه، فيلجأون إلى شِعب جبل بجوار مكة، يملكه ابو طالب عم النبي ويطول الحصار وما أن يزول حتى يفقد النبي ﷺ عمه وزوجته، ويشتد أذى المشركين حتى تستحيل الإقامة في مكة، فيأخذ النبي بالأسباب ويتوجه إلى ثقيف في الطائف يطلب منهم الجوار والإيواء، لكن الله تعالى أخفى فضله في أزمة فرفضت ثقيف إيواءه وأهانته وآذته وسال الدم الزكي من قدميه الشريفتين، وتنتصب الروح المحمدية من جديد، فلا يأس ولا قنوط ويقف عند نخلة بين مكة والطائف، حيث لا تقدم ولا رجوع فكلا القريتين نبذته وأباحت دمه ولم يبق إلا اللجوء إلى الله، ويصدح الصوت الذي سمعته السماء دون الأرض:

«اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ

عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».[1]

كان ذاك الدعاء هو المطلوب، إنه التأشيرة إلى عروج الروح إلى السماء، إنه الدعاء الذي تفتح به أبواب السماء لكل مستجير مستغيث، إنه الدعاء الذي تلقفه المؤمنون على مر الزمان وإلى قيام الساعة، إنه تأشيرة الفرج والعطاء والنصر والغوث لكل ملهوف.

روح النبوة حملت الأمانة خلال النصف الأول من سني الدعوة المحمدية ثم ارتقت إلى روح الرسالة تلك الروح الجياشة التي أنقذت الانسانية من يومذاك وإلى قيام الساعة. وسيأتي ذكرها بعد صفحات قليلة.

[1] المعجم الكبير للطبراني (13/ 73)، عن عبد الله ابن جعفر.

6- الوحي والروح

يقول الله تعالى: {**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**} [الحج: 75]. والاصطفاء ليس إلا مرحلة أولى من المهام التي ستلقى على عاتق الذين اصطفاهم الله تعالى، وغاية الاصطفاء التبليغ، قال تعالى في سورة النحل: {**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** (35)}.

ولا يكون التبليغ إلا تاماً كامل الحجة واضح المعنى، قال تعالى في سورة النساء: { **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** (165)}.

ولا حجة لأحد إذ كان الكلامُ كلام الله عز وجل وليس كلاماً لا من الأنبياء والرسل ولا كلاماً من الملائكة، وطريقة إيصال هذا الكلام مضمونة لا ينقص منه حرف ولا يزيد، ولا عذر بعد ذلك لأحدٍ من المقصرين.

ذلك هو الوحي، وكل ما على الملك وهو الروح الأمين هو أن ينزِل بكلام الله فيلقيه بإذن الله في روع الرسول المصطفى، ولكي لا يصاب الرسول بالذهول، ابتدأت عملية تحضيره تدريجاً فكان أول ما بديء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة[1]، والرؤيا هي أول علامات اتصال الروح بالملأ الأعلى، فالجسم يرقد والحواس تتعطل، ولا يبقى إلا الروح فإنها إن كانت على طهارة جابت الأكوان.

[1] البخاري ومسلم عن عائشة.

في سن الأربعين دامت الرؤى الصادقة ستة أشهر ثم حان دور اتصال الملَك بالنبي ﷺ، ولو ظهر الملك على حقيقته من أول مرة لصعق الأنبياء والرسل من هول منظره وهيئته: حكى الثعلبي وابن المبارك عن ابن عباس، قال النبي ﷺ لجبريل: "إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء" قال: لن تقدر على ذلك. قال: "بلى" قال: فأين تشاء أن أتخيلَ لك؟ قال: "بالأبطح" قال: لا يسعني. قال: "فبمِنى" قال: لا يسعني. قال: "فبعرفات" قال: ذلك بالحري أن يسعني قواعدُه فخرج ﷺ للوقت، فإذا هو قد أقبل بخشخشة وكلكلة من جبال عرفات، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ خرّ مغشيا عليه، فتحوّل جبريل في صورته، وضمه إلى صدره. وقال: يا محمد لا تخف؛ فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسُه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانا من خشية الله، حتى يصيرَ مثل الوصع – يعني العصفور – حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمتُه[1].

أذن الله تعالى إذن بعلاقة ودودة بين الملك والرسول تبدأ بصوت خفيض يسمعه الرسول ونورٍ خفيف يتمثل لعينيه. فعن ابن عباس: " أن النبي ﷺ قال لخديجة إني أسمع صوتا وأرى ضوءا وإني أخشى أن يكون بي

[1] الزهد والرقائق لابن المبارك (1/ 74).

جنن، فقالت خديجة لم يكن الله ليفعلُ بك ذاك يا بن عبد الله ثم أتت ورقةَ بن نوفل فذكرت ذلك له فقال إن يكن صادقا فإن هذا ناموسٌ مثلُ ناموسِ موسى"[1]. فبإغماض العين وباعتزال الضوضاء، وبمناجاة الخالق يصفو الأمر للروح فتبدأ بخرق الحجب.

صار صوت الروح ونورها يقويان أكثر فأكثر، ثم علا الصوت واقترب الملك شيئاً فشيئاً. وتمثل في البداية بصورة مؤنسة، فضم رسول الله ﷺ، ولم يكثر عليه فقال إقرأ وتلا بضع آيات، وهكذا حتى نزل بعد ذلك بآية {قم فأنذر}، فقد انتهت فترة التآلف وحان وقت التبليغ.

والوحي، هو في الأصلِ الإعلامُ الخفي، هو كلام بإخفاف وخفاء، يُقذف في القلب ولا يسمعه الجليس ويدخل في الأحاسيس والمشاعر، كلام منزه عن الصوت والحروف، يُسمع من الجوانب الست فتسمعُ الروحُ من الكون كله دون تحديد مكان معين أو صوت مسموع. وقد ورد في الأقاصيص أن موسى عليه السلام قال: سمعت كلام ربي بجميع جوارحي، ولم أسمعه من جهة واحدة من جهاتي.

هذا هو الوحي، كلام الله المنزل على قلب نبيه والقلب مهبط ومحطة الروح، قال تعالى في سورة الشعراء: **{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)}**.

[1] أحمد والطبراني في الكبير، عن ابن عباس.

هذه الصلة صلة روحية، ينوء الجسم بحَملها وحده، فلا أذنٌ تطيق ولا عينٌ تتحمل، ولا عقلٌ يسَع ولا ذاكرة تحفظ بكل دقة وأمانة، ولما اجتهد رسول الله ﷺ أن يحفظ ما أنزل عليه خاطبه المولى تعالى فقال في سورة القيامة: **{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)}**.

هنا يأتي دور الروح القادرة على الاتصال والتلقي والاستيعاب والفهم والحفظ والتذكر. ولا حاجة للتذكر فقد أصبحت روح النبي ﷺ موصولةً مباشرة، تستمد من المعين الأصلي ولا شيءَ يقطعها عنه، فالروح هي التي تعرف من أين جاءت، وتجيد الاتصال بمصدرها، وتعيد التواصل معه إذا انقطع وتفهم المعاني الراقية لهذا العالم العلوي وتستوعب مقاصده السامية وما يريده من عالم الدنيا ومن أهلها.

والوحي أمانة لا يحق لرسول أن يجتزيء منه أو يضيف عليه، ولا لملك أن يفرّط فيه إنه كلام الله العليّ القدير، تشيعه آلاف الملائكة، ورد أن "لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ"[1] وهم يشيعون آيات الله إلى الأرض..

وعن عائشة قالت: (من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه[2]، إن الله تعالى يقول: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ }** [المائدة: 67]).

---

[1] الحديث: "نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً شَيَّعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ" . (ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (1/ 123).

[2] البخاري، 7531، عن عائشة.

وكيف يكتم النبي وهو الصادق الأمين حرفاً من الوحي؟ وهل الأمر بهذه الخفة؟ يقول الله تعالى عن ذلك في سورة الحاقة: **{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46)}**.

والوحي على الأنبياء أنواع، وقد سأل الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ – رضى الله عنه – رَسُولَ اللهِ – ﷺ– فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – "أَحْيَانًا يَأْتِينِى مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ –وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَىَّ– فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِىَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ"[1]. قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: «أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي»[2]، أي أن تُكسَر.

كما ان الوحي لم يكن خفياً على آل بيت النبوة ولا على الصحابة الكرام: فقد سأل الصحابي يَعلى بنُ أمية سيدنا عمر أن يريه النبي ﷺ حين يوحى إليه.

فبينما النبي ﷺ بالجعرانة، ومعه نفر من أصحابه، جاءه الوحي، فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى، فجاء، فأدخل رأسه تحت الثوب الذي أُظِلَّ به رسول الله، فإذا به ﷺ محمر الوجه، وهو يغط، والغطيط، صوت معه بحوحة، كشخير النائم، وكان يتحدر العرق من جبينه كاللؤلؤ حتى

[1] صحيح البخاري (1/ 6).
[2] صحيح البخاري (1/ 83).

في الليالي الباردة، وذلك من شدة الوحي وثقله[1]. قال تعالى: **{إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا}**.

توقف الوحي بوفاة رسول الله ﷺ، فلا نبيَّ بعده ولا رسولَ يليه، وهنا ينقطع قلب العبد المؤمن خوفاً من أن يضيع إيمانه أو أن تخف وتيرة عبادته وتعلقُه بربه، وهذا ما جرى مع خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، فبعد وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ، ﷺ، قال أنس: قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم : " انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا "[2].

ماذا بقي من الوحي بعد وفاة رسول الله ﷺ؟ بقي الوحي التام الكامل الذي أنزل وهو القرآن والسنة وهما باقيان معنا وفينا إلى قيام الساعة، والرؤيا الصالحة مما يراه المؤمن، قال رسول الله ﷺ: "لم يبق من النبوة إلا المبشِّرات". قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: "الرؤيا الصالحة"[3].

---

[1] عمدة القاري شرح صحيح البخاري (9/ 152). عن يعلى بن أمية.
[2] صحيح مسلم (4/ 1907) عن أنس.
[3] (مسلم) 2263 , (البخاري) 6582 , (الترمذي) 2272، عن عبادة بن الصامت. والبخاري (9/ 31). عن أبي هريرة.

بقيت صلة كل مؤمن بالسماء عبر روحه التي تشعره بالمعية: وهو معكم أينما كنتم، وتزيده قرباً كلما سجد، و ترتقي به كلما قرأ القرآن ويرفع الله ذكره في الأرض وفي السماء كلما ذكر الله تعالى.

لكن حتى تسلم الروح هناك شروط، لأن صفاءها يحتاج إلى مناجاة، وغذاءها يحتاج إلى ذكر ونورها يحتاج إلى تورع عما حرم الله، وقربها يحتاج إلى سجود واختراقها للحجب يحتاج إلى غض بصرٍ وحفظ لسان.

الروح إذن تناشدنا وتناشد أجسامنا وقلوبنا وعقولنا وألسنتا وبقية جوارحنا، إني أمانة الله عندكم فأعينوني حتى أواصل الاتصال فأنجو وتنجون معي.

7- عروج الروح

الروح القادرة على العروج، هي روح النبي ﷺ، التي اجتهدت وجاهدت وأخلصت فارتقت وسمت، ووصلت إلى مكان لم يبلغْه أحد، لا قبل ولا بعد؛ أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس فكان للأنبياء إماما، وعرج به إلى ما فوق السماوات السبع، فصار أعلى العالمين مقاما.

ما هذه الروح التي صمدت في الجسد الضعيف، أمام الباطل المكابر العنيف، يصبر النبي ويتحمل، ريثما يأتي الله بأمره، فيأتي بالنزهة الغراء، التي بدأت بالإسراء، واختتمت بالعروج إلى أقصى سماء.

قالوا أن النبي،ﷺ، لم يغِب طويلاً عن فراشه، فكيف اجتاز هذه المسافات في جزء بسيط من الليل، والأغرب أنه جاب خلالها الأكوان، حتى بلغ اللقاء بالرب الرحمن.

جمهور العلماء يؤمن بعروج الروح والجسد والبعض يحصر العروج بالروح، والناس بين مؤمن موقن وبين مؤمن مصدق وبين امريءٍ مشكك، ومن عرض الأمر على العقل وحده سقط في فتنة أعمق فقد أوقع نفسه في مشكلة مع حقيقة النبوة ومع صدق الحديث ومع ما جاء في القرآن الكريم.

فالنبي لم يعد رجلاً عادياً بعد ما أوحي إليه، لقد أصبح رسول الله، إنه يحمل الآن أمانة وعليه أداؤها وقد زوده المولى بالروح والحصانة لإيصال الأمانة: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسَلْنِي

عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلُونِي، عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا فَكُرِبْتُ كَرْبًا مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ". [1]

ومن شك في الحديث الصحيح، أضاع حقائق وبينات هي من أصل الإيمان وأسسه، وحاشى للنبي أن يكذب وهو المؤتمن على رسالة الله إلى الناس. وأما من لم يؤمن بما جاء في القرآن الكريم عن الإسراء والمعراج فقد جعل القرآن عضين، آمن ببعضه وتجاهل بعضه، نسأل الله السلامة.

وهنيئاً لمن عرف خصائص الروح، فقد هان عليه الجواب: لنعد قياساً إلى قصة سيدنا سليمان وبلقيس في القرآن في سورة النمل: **{قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}** [النمل: 38 – 40]، فجاءه الذي عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين بطرفة عين!

ماذا جرى للمادة التي صُنِع منها العرش، حتى صارت تذروها رياح الروح وتنقُلها إلى القدس ثم تعيدُ العرشَ إلى سيرته الأولى! هو علم وأي علم خصّ الله تعالى به بعضَ خلقه.

[1] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح عن أبي هريرة.

قد يكون ما جرى لجسم النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج غير بعيدٍ عما جرى لعرش بلقيس، لكن الذي أتى بالنبي من مكة ليس الذي عنده علم من الكتاب، بل هو رب كل العلم الذي في الكتاب وفي غير الكتاب ورب محمد وسليمان والخلق أجمعين وهو على ذلك قدير بلا كمٍ ولا كيف.

هكذا نفهم التحضيرات التي جرت لجسد النبي ﷺ قبيل الإسراء والعروج، حتى يتأهل الجسد لمرافقة الروح إلى عالمها الأعلى، فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: «أُتِيتُ وَأَنَا فِي أَهْلِي؛ فَانْطُلِقَ بي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئَةً إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَحُشِيَ بِهَا صَدْرِي» قَالَ أَنَسٌ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِينَا أَثَرَهُ «فَعَرَجَ بِيَ الْمَلَكُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ الْمَلَكُ. وَذَكَرَ حَدِيثَ الْمِعْرَاجِ».[1]

وهكذا نفهم السرعة التي أُنجزت فيها رحلة الإسراء والمعراج تلك الليلة فسرعة الروح أسرع من سرعة النور، تبلغ حيث يبلغ الخاطر، والجسد في تلك الليلة صار مطواعاً للروح، فلا عجب بعد ذلك إذا ما افتقد النبيَّ أهلُه لبعض الوقت ليس أكثر.

أما أن يصلي نبينا إماماً بسائر الأنبياء في بيت المقدس، فهذا ليس مدعاة للفخر بقدر ما هو مطابق للأمر الإلهي الأبدي الجلي، بوجوب اتباع

[1] أخرجه مسلم في الصحيح عن أنس.

النبي السالف وأمته للرسول الذي يليه، وقد جاء ذلك في قول الله تعالى في سورة آل عمران: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)}**.

من عبر الإسراء نستنتج أن الروح المحمدية قادرة على الاستكشاف وعلى السبر والتحقق، قال عليه الصلاة والسلام: وآية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فأنفرهم حِسُّ الدابة (أي البراق)، فندّ لهم بعير(أي نفر عن القافلة) فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام.

وذكر أيضاً أنه رأى عيراً تصوّب من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء قال فابتدر القوم الثنية فكان أول من لقيهم ذلك الجمل الذي وُصِفَ لهم.[1]

ومن العبر أيضاً نكتشف أن الروح القوية تشم الروائح الطيبة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ: النَّبِيُّ " لَمَّا أُسْرِيَ بي مَرَّتْ بي رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ؟ قَالُوا: مَاشِطَةُ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادُهَا،[2] ونعلم أن الماشطة وأبناءها فضلوا السقوط في خندق النيران على الكفر والعصيان.

والروح المحمدية ترى صوراً من المستقبل كما ترى صور الحاضر أو صوراً من الماضي، فقد رأى عليه الصلاة والسلام عموداً أبيض من نور كأنه

[1] سيرة ابن هشام ت السقا (1/ 402).
[2] مسند أحمد ت شاكر (3/ 253)، عن ابن عباس.

لؤلؤة تحمله الملائكة فأجيبﷺ: "عمود الكتاب أمرنا أن نضعه بالشام".[1]

ولعل هذا هو أحد أسباب المعارك في بلاد الشام اليوم.

وأما طريقة المعراج ففيها إشارات عجيبة، براق أسرع من البرق: يضع يده في منتهى طرْفه، سرعته كالبرق خَطوه مَدُّ بصره ، وصحن طائر كوَكر الطير، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَكَزَ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَقُمْتُ» - يَعْنِي - إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا مِثْلُ وَكْرَيِ الطَّيْرِ، «فَقَعَدَ جِبْرِيلُ فِي أَحَدِهِمَا وَقَعَدْتُ فِي الْآخَرِ، فَسَمَتْ وَارْتَفَعَتْ حَتَّى سَدَّتِ الْخَافِقَيْنِ، وَأَنَا أُقَلِّبُ طَرْفَيَّ، فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمَسَّ السَّمَاءَ لَمَسَسْتُ».[2] ووَكر الطير، كما جاء في لسان العرب، واسع الجوف ضيق الرأس، وهو، بلغة عصرنا الحاضر، أشبهُ بالكبسولة الفضائية التي تقل رواد الفضاء، واسعةُ الجوف، ضيقةُ الرأس. وفي ذلك دليل قوي على عروج الروح والجسد معاً في هذه الرحلة المباركة.

عبر كثيرة يستقيها الانسان العاقل من خبر المعراج:

أولها أن بين المعراج والصلاة والروح صلة، فقد عاد رسول الله ﷺ بأمر ووصية، الأمر من الله تعالى بالصلوات الخمس والوصية من سيدنا إبراهيم استكمالاً لأمر الله تعالى، فقد أوصاه سيدنا إبراهيم :"أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها سبحان الله

[1] أحمد والطبراني في الكبير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص.
[2] الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان، عن أنس بن مالك.

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر."[1] وتدعى هي والصلوات الخمس من الباقيات الصالحات. قال الله تعالى: "والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا" [مريم: 76].

فهل للمؤمن معراج روحي؟ نعم حتى المؤمن يمكنه أن يعرج بروحه إلى ربه في صلاته فالصلاة معراج المؤمن وكذلك من ينام على طهارة بدنية وروحية، فإذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة" [2].

ومن العبر أيضاً، أن روحَ النبي ﷺ، المطلقةَ الطوافة، لم تكتف بجذب الجسم في تطوافها، بل رأت المتنعِمين في الجنان، والمعذَّبين بالنيران، وسألت وأخبرتنا عن مخالفاتهم الجسيمة، التي تستوجب العذابات الأليمة.

فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، وهم المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة بسبع مئة ضعف، ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت، وهم الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة. ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها، وهم الذين لا

[1] الترمذي عن عبد الله ابن مسعود.
[2] من حديث سيدنا علي، رواه الطبراني في الأوسط.

يؤدون صدقات أموالهم، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور، ولحم آخر نيء قذر خبيث، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث، ويدعون النضيج الطيب، والرجل من هؤلاء، تكون عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا، فتأتي رجلا خبيثا، فتبيت معه حتى تصبح.[1]

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، وهم خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون؛ ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع، وهو الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها، فلا يستطيع أن يردها.[2]

ورأى آكل الربى: رجل يسبح في نهر من دم يُلقم الحجارة، ورأى آكل لحم الناس والخائض في أعراضهم: يخدش وجهه و صدره بأظفار من نحاس، ورأى الذين تقطع لحومهم ويلقمونها: كل كما كنت تأكل من لحم أخيك.[3]

ومن دروس المعراج الروحية أن الحياة مادةٌ وروح؛ فلا يستغربن أحد عروجَ الروح بالجسد فمتى صفت النفس واستقام المؤمن وطغت روحه على

[1] حديث الإسراء والمعراج، عن أبي هريرة.
[2] حديث الإسراء والمعراج، عن أبي هريرة.
[3] حديث الإسراء والمعراج، عن أبي هريرة.

ماديته غلبت الروح على الجسد، أما عند غلبة الجسد والشهوة والنفس فيصبح الإنسان أكثرَ حيوانية وأشدَّ أذىً وطغيانا.

ويكفينا قولُ الله عز وجل في سورة النجم: **{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11)}**، دِلالة على أن الروح قد عرجت، وقولُه بعد ذلك: **{ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)}**، دلالة على أن الجسم لم يكن أقل شأناً ولا حظاً من الروح في هذه الرحلة العظمى.

صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين.

8- روح الرسالة

ما سمعنا وما قرأنا أن نبياً أو رسولاً أو قائداً أو زعيماً استطاع كما استطاع سيدنا محمد ﷺ، أن يبث روحه في أمته فيبعثها من رقادها في غضون عشر سنوات، وينشر بها ديناً لا يزال إلى يومنا هذا وبعد أربعة عشر قرناً يثور كالبركان.

ما سمعنا ولا قرأنا عن روحٍ ربّت خميرة أولى لا يزيد عدد رجالها على المئة، في ثلاث عشرة سنة في مدينة أهل معادون ونافذون، تحت وابل من العذاب والقتل والتنكيل، ليصبح أولئك الفتيان بعد ذلك فرسان الأمة وقادتها ودعاتها وولاتها ثم صاروا مثلاً يحتذى على مر القرون والأيام.

ما سمعنا ولا قرأنا أن رجلاً يخرج من بلده حزيناً فريداً طريداً مضطهداً يعود إليها بعد ثماني سنوات بجيش عرمرم، ويقول لقاتلي أهله وأصحابه إذهبوا فأنتم الطلقاء، أي قلبٍ هذا القلب وأية روحٍ تلك الروح التي تمده!

ما سمعنا ولا قرأنا عن قائدٍ يفدي رجاله بنفسه فيقتحم الصفوف ورجاله يتترسون به، أية روح مقدامة تلك الروح. قَالَ الْبَرَاءُ: «كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ».[1]

ما سمعنا ولا قرأنا أن قائداً كان يقدم أهله في المعركة إلى الصف الأول، ففي غزوة بدر بدأ القتال بتقديم النبي ﷺ أهلَه للقتل: عمه حمزة وابني

[1] صحيح مسلم (3/ 1401).

عمّيه علي وعبيدة قبل أن يقدم سائر الصحابة للقتال، فأرى الله قبل الناس صدقاً وإخلاصاً وتضحيةً وتجردا. إنها روح الرسالة. والإمام أمام. روح كشّافة، أخبرت عن رجل قاتل في صفوف المسلمين قيل أنه يدعى قزمان أن مصيره إلى النار من قبل أن يقترف ما يوجب دخوله فيها:

أخرج البخاري عن سهل بن سعد، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، التَقَى هُوَ وَالمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ، لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.[1]

كيف كانت روح النبي ﷺ بعد القرح الذي أصاب جيش المسلمين في أحد، وحين حمل الذين كانت جروحهم طفيفة إخوانهم ذوي الجروح البليغة، فما أن سار الجند قليلاً في طريق العودة إلى المدينة حتى قال رسول الله ﷺ الجريح لأصحابه المكلومين:

[1] صحيح البخاري (4/ 37)، عن سهل بن سعد الساعدي.

" استووا حتى أثني على ربي عز وجل". فصاروا خلفه صفوفا فقال: " اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين...[1]

أثنى على الله ولم يشكو ما أصابهم إلى الله، إنه الأدب مع الله، ألا يعلم الله تعالى بحاله وحال المسلمين فلم الشكوى إذن، اقتصر حاله على الثناء على الله والله يعلم ما يصنعون.

كذلك في اليوم الذي تلى يوم أحد وعلى الرغم من الجراحات الكثيرة التي أصابت الجند والخسائر بالشهداء أمر بلالا أن ينادي أن رسول اللّه ﷺ يأمركم بطلب العدو وأن لا يخرج معنا أحد إلا من خرج معنا أمس يعني من شهد أحداً .[2]

---

[1] (البخاري في الأدب) 699 , (أحمد) 15531 , (النسائي) 10445، (ك) 1868، عن رفاعة الزُرقي.
[2] محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص: 176)

ولعله أراد بذلك إظهار الشــدة بالعدو والزيادة في تعظيم من شــهد أحداً ومنع بذلك اختلاط المنافقين.إذ قال له كبيرهم أنا راكب معك فأبى رسـول الله ﷺ. إنها روح الرسـالة، ليس الأمر بكثرة العدد بل بتقريب المؤمنين والاعتماد فقط على رب العالمين.

ما سمعنا ولا قرأنا عن قائد أمة مفتتة حديثة العهد بالإسلام، يخوض حروباً محلية كثيرة وإذا به يراسل ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ويحملهم تبعات الرفض والاستخفاف، روح واثقة تسابق الزمن والعمر تريد أن تؤدي المهمة على جناح السرعة وعلى الوجه الأكمل، بلا تردد ولا وجل، قبل أن يدركها الأجل.

ما سمعنا ولا قرأنا عن قائدٍ يرتقي منبره في عاصمته، يصف للناس معركةً يخوضها جيشه البعيد عنه مئات الأميال، وصفاً مباشراً! فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»[1]...لقد أصبحت الروح مهيمنة على ساحة المعركة تنقل المشاهد بتفصيل معجز.

[1] صحيح البخاري (5/ 143).

ما سمعنا ولا قرأنا أن أحداً من الخلق سوى هذا النبي العظيم يبشر جنوده وهم في كرب عظيم مطوقون محاصرون من كل جانب أنهم سيفتحون بلاد كسرى وفارس واليمن، ما الذي رأته هذه الروح، وكيف تسنى لها ذلك؟ خلال حفر الخندق حول المدينة، عجز الصحابة عن تحطيم صخرة صمّاء كسرت حديدهم، فذهب سلمان الفارسي الى رسول الله ﷺ فأخبره فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين الجبلين المحيطين بالمدينة، قالوا: كأنها مصباح في جوف ليل مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون حين وقعت فلقة منها، فقال الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة. وكان كلما ضرب ضربة تلا: **وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلمات الله وهو السميع العليم.**[1]

ما سمعنا ولا قرأنا عن نبي ورسول، يعلّم هذا الصحابي ويوصي هذا وينبه هذا ويربي هذا ويولي هذا ويعزل هذا ثم ينطلق بالناس إلى الحج ليعلم الركن الخامس في الإسلام ويقول: " خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا "[2]. إنها روحٌ تسابق الأجل.

[1] المعجم الكبير للطبراني (11/ 376)، عن ابن عباس.
[2] السنن الكبرى للبيهقي (5/ 204)، عن جابر.

فهل عرفنا مصدر هذه الروح القوية الكاشفة، إنه وعد الله تعالى لنبيّه بالنصر وثقة النبي بربه بلا جدل ولا وجل، كان الله تعالى يؤيد النبي بنصر المؤمنين على الكافرين من حيث لا يحتسب الطرفان، قال تعالى في سورة الحشر: **{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2)}**.

تلك هي روح الرسالة: روحٌ لم تدع لرسول الله ﷺ راحة في حياته، وكانت المهام الصعاب تترافق مع الأزمات تأتيه من كل جانب، ورسول الله ﷺ لا يدع هذه الأزمات على شدتها وعظم أذاها، تثنيه عن واجباته بدعوة الناس إلى الله، ولا تلهيه عن علاقته بربه تعالى، فكان في كل نهاره داعياً وفي معظم ليله ضارعاً متعبداً شاكراً لأنعم الله تعالى، إنها روح المكلف بأرقى رسالة على وجه الأرض، رسالة الدعوة إلى الله، روح لا تنثني عما كلفت به وترى أن الله لا يخلف وعده رسله، ولا تجد بداً من بذل الوقت وصرف الجهد على حساب الطعام والنوم والراحة ولا راحة إلا بلقاء الله تعالى وسباقه مع العمر لم ينته بعد، صلّى الله عليه وسلم.

9- روح المحبة

لكي نعرف علاقة المحبة بالروح ينبغي أن نعرف أهمية المحبة في الإسلام ؟ والكلام الشائع أن لا مكان للمحبة في دين الإسلام، كلامٌ مغرض، معروف المصادر والدوافع، لا يعوّل عليه ولا على قائليه؛ إذ أن حب الله تعالى لعباده المؤمنين في كتابه الكريم واضح للعِيان ومن قرأ عرف، ومن ذلك قولُه تعالى في سورة المائدة: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ..(54)}**. وكذلك في سورة آل عمران: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)}**.

ولله تعالى ستة عشر إسماً يتصف بالمحبة من أصل أسمائه الحسنى التسعة والتسعين، كل إسم يصِف جانباً من جوانب المحبة، فالرحيم محب، والودود محب، والمؤمن محب، والغفار محب، واللطيف محب، وكذلك الحليم والرؤوف والكريم والمجيب والسلام والبر والتواب والعفو والغفور والصبور، فكيف باسم الرحمن؟

ونبينا ﷺ يجزم ويحصر بقوله: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»[1]. وعند البخاري في الصحيح عن أنس: «لاَ يَجِدُ أَحَدٌ

[1] البيهقي في شعب الإيمان عن معاوية بن سويد.

حَلاَوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ». وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

والمحبة فضل من الله، فلا يظنن أحدٌ أن بوسعه أن يتكسب حب الناس إلا إذا أذن الله تعالى له بذلك: قال رسول الله ﷺ: " إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ "[2].

بقي أن نعرف ماذا نفعل كي يحبنا الله؟ والجواب في هذا الحديث القدسي: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "[3].

نفهم من هذا الحديث أن من أراد أن تقوى روحه، ويمتد تأثيرها فعليه أن يلتزم بالشروط التي جاءت في هذا الحديث القدسي، والشرط الأول،

---

[1] صحيح البخاري (1/ 12) عن أنس.
[2] صحيح البخاري (8/ 14) عن أبي هريرة.
[3] صحيح البخاري (8/ 105)، عن أبي هريرة.

أن يميل إلى اولياء الله تعالى، فمن عاداهم فقد بارز الله تعالى بالحرب ولا جدوى من تقربه، فقد قيل أن لحوم العلماء مسمومة. واما أن يتخذ منهم موقفاً محايداً لا معهم ولا ضدهم فهو موقف المنافقين، قال الله تعالى عنهم في سورة النساء: **{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143)}**.

ولا تخاذل في نصرة أولياء الله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنَ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ"[1].

وأما الشرط الثاني، فهو أن الروح لا تقوى ولا تزداد إذا لم يؤد العبد ما عليه لله تعالى والقصد الفرائض، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ: مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَصَامَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، " قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ قَالَ: «الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ»[2]، وزيد في رواية: " فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمَنِ ابْنَ آدَمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرِهَا"[3].

---

[1] اخرجه أبو داود في سننه عن جابر بن عبد الله وعن أبي طلحة الأنصاري.
[2] سنن أبي داود (1/ 116)، عن أبي الدرداء.
[3] الشريعة للآجري (2/ 651)

ثم يأتي الشرط الثالث قبل أن تظهر نعم الحبيب على حبيبه، والشرط هو الإلتزام على الأعتاب بالنوافل، تقرباً إلى الله، ومن النوافل: المحافظة على السنن الرواتب وقراءة القرآن تلاوةً وتدبراً، وقيام الليل والتهجد والباقيات الصالحات من تسبيح وتهليل وتحميد... وهي علامات التقرب ودليل الصدق في الطلب.

فمن استوفى هذه الشروط وهي صعبة على المنافقين سهلة على الصادقين، فلينتظر ما يرضيه ويغنيه ويقر عينه ويشفيه.

فمعنى كنت سمعه الذي يسمع به، أن يتناهى إلى سمعه ما لو بذل الكثير ما كان ليبلغه مما يفيده ويعينه في دينه ودنياه، بعد أن يصبح سمعه كله مسخراً لما يرضي الله تعالى.

ومعنى بصره الذي يبصر به، أن الله تعالى سيحبوه بفراسة تنير له دروب الدنيا والآخرة، قال تعالى: ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

ويده التي يبطش بها، فيحوز على درجة **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}** [الأنفال: 17]، وأما رجله التي يمشي بها، وكلها تعابير مجازية فمعناها أن خطاه صارت تسعى إلى الخير، وإلى ما يرضي الله، لا إلى الشر ولا إلى المعصية. وهكذا يتولاه الله تعالى في جميع حركاته وسكناته.

ثم يصبح مجاب الدعوة فيما يرضي الله تعالى، محفوظاً من الأذى، محصناً من المعاصي، ويبلغ الحب مبلغه في ختام هذا الحديث بقول الله

تعالى: "وأنا أكره مَساءته" فقد صار خاطر المؤمن عزيزاً عند ربه جلّ وعلا.

سُمُّ المحبة، وسمُّ القوى الروحية هو الغيرة والحسد والحقد والغيبة والنميمة، فليحذر المؤمن من السموم التي تقتل إيمانه ومحبته وغذاء روحه، سماها رسول الله ﷺ "الحالقة" فقال: "لا أقول تحلق الشعر بل تحلق الدين"[1]. فلا بد للمؤمن من أن يعالج نفسه ويخالفها ويغسل سخيمة قلبه، وأن لا يتمنى للناس إلا الخير وأن يرجو الله عزّ وجل أن يُخرِجَه من هذه الدنيا، لا له ولا عليه.

وعلى المحسود أن يتغاضى عما يُحاك له من دسائس، ويُحكى عنه من أقاويل، وأن يتصدق بكرامته على الناس، وأن يصفح ويسامح ويجزل العطاء، فالغِلّ والمحبة لا يتجاوران، والحقد والأخوّة في الله يتنافران، ومن لم يملأ قلبه حباً لا يجد للصفاء في نفسه مكاناً، والمحبة كهف المؤمن وملاذ روحه.

ومن قال أن ليس للمحبة مكان في الإسلام فكلامه لا يؤبه له، وهو صادر إما عن جاهل وإما عن مخاصم والاثنان في الهم سواء. ومن تحققت فيه المحبة زاد في قوة روحه فصارت روحه أكثر سمعاً لما يحاك وكشفاً لما يجري وأثراً في نفوس الناس ونفوذاً في مجريات الأمور.

[1] (الترمذي) 2510 , (أحمد) 1412 ، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 2695.

المحبة علامة التخلص والإخلاص، فمن تخلص من علائق الدنيا وعوائقها، وأخلص قلبه لله تعالى، كُشِف له الغطاء فتعرّف إلى قواه الروحية، فصارت في قبضته وهو لا يتصرف بها إلا فيما يرضي الله ورسوله والإسلام.

المحبة، هي موجة الأثير التي تحمل رسائل المحبين، هي من أسرار قوة الروح، فمن أحب الله تعالى وأخلص له في النية والقول والعمل، سرت روحه بين أحبابها، فغذت أرواح الطالبين، ورفعت همة السالكين، ووسعت عقل المجالسين، وأراحت قلوب المحبين، وجذبت أرواح التائهين.

اللهم علمنا حبك وحب من يحبك وحب عملٍ يقربنا إلى حبك. والحمد لله رب العالمين.

10- الروح المطلقة

الروح المطلقة هي روح كروح النبي ﷺ، حباه الله بها، لأن عبده ﷺ لم يترك لنفســـه حظا، وجعل كلَّه لله تعالى، علماً وعملاً ومعاملةً وعبادة.

فاطلق الله تعالى له روحه فجعلت تجوب الأكوان وترى بديعَ الخلق وعظيمَه، وتحوم فوق الأرض فترى وتسمع.

الروح المطلقة، مسخرة لدين الله، أطلقها الله تعالى لترى وتصف فتدلَّ عليه جلّ وعلا، وأعطاها القدرات لتُرِيَ الناس قدرة الله لا قدرة العبد المقتدر، فتؤمن بالله القدير وليس بالعبد الفقير.

مجالات الروح المطلقة متعددة فيما يخدم دين الله وينقذ عباد الله، تهيمن على حياة المؤمنين وتوجه سلوك المدعوين إلى هذا الدين.

إنها أولاً علامة على تأييد الله تعالى لأنبيائه ورسله وحتى لأوليائه، في الســـلم كما في الحرب، فيُدِب الرعب في قلوب أعداء الله من قبل أن يلتقي الطرفان، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْـــجِدًا، وَأُرْسِـــلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ "[1].

[1] صحيح مسلم (1/ 371) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وأطلع الله تعالى نبيه على ملكوت السماوات، رأى منها ما رأى بأم العين ليلة المعراج وجالت الروح فيما بقي، رأى الأكوان، وجاب فيها، وطويت له، نظر في النجوم والسماوات وعرف معنى الكرسي والعرش، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»[1]. وبلغ وصف النبي ﷺ للكون حتى قال أحد التابعين، وهو مُجَاهِدٍ، قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا بِمَنْزِلَةِ حَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ».

وكما في الفضاء كذلك في الأرض، جاء في الحديث الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: " ان الله زوى لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها "[2]. وقد جاء في شروح هذا الحديث: (زويت لي الأَرْض أَي جُمِعت، ولا يكون الإنزواء إِلَّا بانحراف مَعَ تقبُّض،...)[3].

والمعنى أن الأرض صارت بين يدي النبي ﷺ كالكرة يرى من جوانبها ما يريد. فأي روح هذه تلك التي مكنها الله من الإحاطة بالأرض!

صار بإمكان رسول الله ﷺ أن يحدّث عن الكون وعن الأجرام التي تسبح فيه كما صار يرى الأرض من مكان مشرف عليها، لا بل أصبح باستطاعته

---

[1] العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (2/ 587) عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ.
[2] صحيح مسلم (4/ 2215) والترمذي واحمد عن ثوبان.
[3] كشف المشكل من حديث الصحيحين (4/ 218)، لابن الجوزي.

أن يرى ويسمع ما يدور ويجري في أية بقعة من بقاع الأرض والحوار الذي يدور بين اثنين لا ثالث لهما إلا الله تعالى:

فقد وقع العباس عم النبي في قبضة المسلمين أسيراً يوم بدر، وفرض رسول الله ﷺ فدية على الأسرى الأغنياء من قريش، ورفع النبي فدية العباس وجعلها عدة أواق من ذهب وقال لعمه: "إفد نفسك يا عباس وابني أخيك عقيل ابن أبي طالب ونوفل بن الحارث ابني عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو"، فقال: (تركتني فقير قريش ما بقيت)، فقال ﷺ: "كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أمَّ الفضل وقلت لها إن قتلتُ فقد تركتك غنية ما بقيتِ؟"[1]. ذُهِل العباس فالحديث دار بينه وبين زوجته وليس عليه شاهد غير الله تعالى.

واطلع الله تعالى نبيه على شيء من الغيب، وفي صحيح البخاري عن أنس، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ، وَقَالَ: «اسْكُنْ أُحُدُ ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»[2]. ومن شكك فيما سمع فليقرأ من سورة الجن: **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27)}**.

[1] دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: 477)، ومثله من رواية الإمام أحمد (5/ 334)عن ابن عباس.
[2] صحيح البخاري (5/ 15)

وفي لحظة صفاء وخلوة بخلص أصحابه يخبرهم رسول الله ﷺ بما سيتعرضون له من فتن بعده.

وقف أبو موسى الأشعري باباً لرسول الله ﷺ عند بئر أريس، قال: فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ» فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ، ...»[1].

وعَنِ الضَّحَّاكِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَلِيُّ، تَدْرِي مَنْ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «عَاقِرُ النَّاقَةِ» ، قَالَ: " تَدْرِي مَنْ شَرُّ، وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَشْقَى الْآخَرِينَ؟ " قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَاتِلُكَ» [2].

ودخل الصحابي وابصة بن معبد على مجلس رسول الله ﷺ، قائلاً: أَنَا وَابِصَةُ، دَعُونِي أَدْنُو مِنْهُ، فَقَالَ لِي: " ادْنُ يَا وَابِصَةُ، ادْنُ يَا وَابِصَةُ "، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فَقَالَ: " يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ مَا جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ، أَوْ تَسْأَلُنِي؟ " فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَخْبِرْنِي، قَالَ: "جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ

[1] صحيح البخاري (5/ 8)
[2] فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (2/ 566)

فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا فِي صَدْرِي، وَيَقُولُ: " يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الْقَلْبِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ ".[1] ومثل وابصة كثير منهم الشابان الثقفي والأنصاري في موسم الحج وغيرهم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ " إِنَّكُمْ تَعُدُّونَ الْآيَاتِ عَذَابًا وَكُنَّا نَعُدُّهَا بَرَكَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَدْ كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ، وَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ السَّمَاءِ» حَتَّى تَوَضَّأْنَا كُلُّنَا.[2]

قَالَ الشَّعْبِيُّ: حَدَّثَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَبَاهُ، اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا كَثِيرًا فَلَمَّا حَضَرَ جِذَاذُ النَّخْلِ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي قَدِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا كَثِيرًا فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ، قَالَ: «اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرَةٍ عَلَى حِدَةٍ» فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ أُغْرُوا بي تِلْكَ السَّاعَةَ فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَرًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ أَصْحَابَكَ» فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي وَأَنَا وَاللَّهِ رَاضٍ أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي وَلَا أَرْجِعُ إِلَى

---

[1] مسند أحمد ط الرسالة (29/ 528)

[2] الاعتقاد للبيهقي (ص: 272)

إِخْوَتِي بِتَمْرَةٍ فَسَلَّمَ اللَّهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا حَتَّى إِنِّي لِأَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ثَمَرَةٌ وَاحِدَةٌ .[1]

وعَنِ الْبَرَاءِ،رضي الله عنه، قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ نَزَلْنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ – وَهِيَ بِئْرٌ – فَوَجَدْنَا النَّاسَ قَدْ نَزَحُوهَا، فَلَمْ يَدَعُوا فِيهَا قَطْرَةً، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِدَلْوٍ فَنَزَعَ مِنْهَا ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُ بِفِيهِ فَمَجَّهُ فِيهَا وَدَعَا اللَّهَ فَكَثُرَ مَاؤُهَا حَتَّى صَدَرْنَا وَرِكَائِبُنَا وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً.

وَرَوَاهُ أَيْضًا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ وَالْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ وَقَدْ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِآبَارٍ أخرى مثل ذلك[2].

روح جابت الأكوان أخبرت بعظائم الأمور ودقائقها ، بما يَهُم الأمة وما يَهُم الأفراد!

فقد أخبر النبي ﷺ أصحابَه بمقتل الأسود العنسي الكذابِ في اليمن، وبأن الذي قتله هو العبد الصالح، فيروز الديلمي، من قبل أن يصل البريد إلى المدينة المنورة بالخبر. [3]

[1] الاعتقاد للبيهقي (ص: 279)
[2] صحيح البخاري (5/ 122).
[3] الرحيق المختوم (ص: 416)، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: 1427هـ)

وأخبر عليه الصلاة والسلام رَجُلًا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ يطلب النَّبيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبَّكَ، يَعْنِي كِسْرَى،[1]. وفي رواية أنه قال لرجلين من فارس: "قتل ربي ربكما الليلة، قُتِل كسرى أنو شروان، قتله فلان".

الأمثلة على روح النبي المطلقة كثيرة والخلاصة أن الذي أطلقها سبحانه إنما ليعطي الدليل أن محمداً رسوله، وأنه ﷺ بدوره ما استعملها ليبنيَ قصوراً، ولا ليزيِّنَ صروحاً، بل ليغذّيَ أرواحاً تبذُل، بأجسادٍ تخدم، ديناً سيعمُّ الأرض ويدخلُ كلَّ وبرٍ ومدر، ومشرقٍ ومغرب، بعز عزيز، أو بذل ذليل.

[1] مسند أحمد ط الرسالة (34/ 85)

11- أرواحٌ كشّافة

كيف كانت الحالات الروحية لأصحاب رسول الله ﷺ؟ ماذا أخذوا عن نبينا عليه الصلاة والسلام؟ كيف غذّت روحُه أرواحَهم؟

نعرض لهذا الأمر جواباً علةى تساؤلات البعض: كيف تخوضون في أمور الروح والله سبحانه وتعالى يقول: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }** [الإسراء: 85]. والجواب عقلاني إيمانيٌ سهل، هذا إذا كان السائل عاقلاً، محباً للعلم، غيوراً على الدين، وعلى شباب المسلمين، المتعطشين لريّ عقولهم، وسُقيا أرواحهم.

بدايةً نطمئن السائلين، أنه لا خوض ولا بحث في ذات الروح، ولا في كنهها ولا في تركيبها، فهذا مستعصٍ ومحال، لأنها من أمر الله تعالى، لكن لا ضير في التعرف على مفاعيل الروح، ودورِها وآثارِها في العبد المؤمن، وماذا يحل بها عند المشرك والملحد والكافر.

ثم إننا لسنا أول من يسأل عن شؤون الروح، ولن نكون الأخيرين، سنبدأ بحوارٍ دار بين الصحابيين الجليلين، الخليفتين عمر بن الخطاب والإمامِ عليٍ رضي الله عنهما، حوارِ الإِخْوَة في الله، جرى بينهما بإيجابية وأريحية ، فعن سالم بن عبد الله عن أبيه قال:

(لقي عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب، فقال له: يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا وشهدنا وغبت، ثلاثٌ أسألك عنهن عندك منهن علم؟ فقال علي بن أبي طالب: وما هن؟ فقال عمر: الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً (بعد)، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً،(بعد)، فقال علي: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الأرواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشأم، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف". فقال عمر: واحدة ثم قال: والرجل يحدّث الحديث إذ نسيه فينما هو وما نسيه إذ ذكره، فقال علي: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما في القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينا القمر مضيء إذ تجللته سحابة فنسي إذ تجلّت" عنه فيذكر". قال عمر: اثنتان، قال: والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يَصدُق ومنها ما يَكذِب، قال الإمام: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد ينام يمتليء نوماً، إلا عرج بروحه إلى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تَصدُق، والذي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذِب". فقال عمر: ثلاث كنت في طلبهن، فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت)[1].

[1] المعجم الأوسط (5/ 248)، عن عبد الله ابن عمر.

عمرُ الذي صدق الله ورسوله، وعليٌ بابُ العلوم المحمدية، لا يستغربان وجودَ القوى الروحية لمن أخلص دينه لله، وها هي الأحداث تترى بين الصحابة الكرام:

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، بَعَثَ جَيْشًا , وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَى سَارِيَةَ قَالَ: فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، قَالَ: فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ, فَسَأَلَهُ , فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا وَإِنَّ الصَّائِحَ لَيَصِيحُ، يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالْجَبَلِ , فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ، فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ.[1] وعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (مَا كُنَّا نُبْعِدُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْزِلُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ).[2]، وَعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قال: مَا رَأَيْتُ عُمَرَ قَطُّ إِلَّا وَكَأَنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ [3]، وَعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يَقُولُ الْقَوْلَ فَنَنْتَظِرُ مَتَى يَقَعُ.[4]

أيها الأحبة كيف لا تَصدُقُ رؤيا عمر، وَقَدْ قَالَ ﷺ: " إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ

---

[1] الاعتقاد للبيهقي (ص: 314)، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (1/ 269)، عن عبد الله ابن عمر.

[2] مسند أحمد ط الرسالة (2/ 201) عَنْ وَهْبٍ السُّوَائِيِّ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (1/ 442)، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ.

[3] المعجم الكبير للطبراني (9/ 164)، وفضائل الصحابة للإمام احمد ومصنف ابن أبي شيبة والشريعة للآجري.

[4] الاعتقاد للبيهقي (ص: 315).

عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ". [1] والمحدَّث هو الذي بلغت روحه من الرقي، ما جعلها كشافة تستقي إلهامها من ملائكة الله الكرام، فتتكلم الملائكة على لسان عمر، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي جَوَازِ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، [2] التي نفاها من لم يصل علمه إلى مستواهم الروحي.

ومن هذه الكرامات ما شهدها بعض الصحابة أو شهدوا على صحتها، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» وَإِنَّ الْبَرَاءَ لَقِيَ زَحْفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ , فَقَالُوا لَهُ: يَا بَرَاءُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّكَ» , , فَأَقْسِمْ عَلَى رَبِّكَ، قَالَ: أُقْسِمُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَافَهُمْ , فَمُنِحُوا أَكْتَافَهُمْ , ثُمَّ الْتَقَوْا عَلَى قَنْطَرَةِ السُّوسِ , فَأَوْجَعُوا فِي الْمُسْلِمِينَ , فَقَالُوا: أَقْسِمْ يَا بَرَاءُ عَلَى رَبِّكَ. قَالَ: أُقْسِمُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَافَهُمْ وَرَزَقْتَنِي الشَّهَادَةَ فَمُنِحُوا أَكْتَافَهُمْ وَقُتِلَ الْبَرَاءُ شَهِيدًا [3]. استحى أن يُلِحّوا عليه المرةَ الثالثة، ليُقسِم على الله فسأله الشهادة قبل ذلك.

أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَرَضِيَ عَنْهُمْ ليس كثيراً عليهم ما ظهر لهم من قدرات روحية لامعة وقد قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيهم: **{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا**

---

[1] صحيح البخاري (4/ 174)، عن أبي هريرة.
[2] شرح النووي على مسلم (15/ 166).
[3] الاعتقاد للبيهقي (ص: 315)

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح: 29] فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ وَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ , وَرَفَعَ ذِكْرَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ , ثُمَّ وَعَدَهُمُ الْمَغْفِرَةَ وَالْأَجْرَ الْعَظِيمَ فَقَالَ: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}** [الفتح: 29]

ماذا فعلوا حتى صارت أرواحهم طوافة كشافة، كم بلغت عباداتهم حتى حققوا هذه الشفافية الروحية؟ إنهم عبدوا بصدق وعبدوا بغزارة وأحبوا حتى تجانست الأرواح فما صب في روح النبي من نور، إلا تنسمت أرواحهم قبساً من هذا النور، كلٌ بحسب استعداده وشوقه واستيعابه.

في صحيح البخاري، عن أسيد بن حضير أنه: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ

رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ»[1].

أسيد هذا الصحابي الرضيّ، له مع شفافية الروح قصة أخرى، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ , أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ, وَرَجُلًا آخَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ تَحَدَّثَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ لَهُمَا حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الظُّلْمَةِ , ثُمَّ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْقَلِبَانِ وَبِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُصَيَّةٌ , فَأَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا لَهُمَا حَتَّى مَشَيَا فِي ضَوْئِهَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَتْ بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَتْ لِلْآخَرِ عَصَاهُ , فَمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ حَتَّى بَلَغَ أَهْلَهُ.[2]

أية قوة روحية هذه ، إنها الروح الشفافة التي سيطرت على الجسد، فصار شفافاً يرى ما تراه الروح.

ولن تكون إلا لمن أخلص للّه حتى صار كله روحاً، لم يَبق له من حظ نفسه إلا النزرَ اليسير الذي يُقيته ويُبقيه على قيد الحياة.

لقد أخذت أرواحهم نسائم من الروح الجياشة لمعلمهم ﷺ، وهو القائل: "لستم في ذلك مثلي، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِيَنِي".[3]

---

[1] صحيح البخاري (6/ 190) عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ.
[2] الاعتقاد للبيهقي (ص: 310)
[3] البزار عن أبي هريرة وابن راهويه عن عائشة.

كانت نسائم أرواحهم كشّافة، تقلّهم إلى أرقى الآفاق، منهم حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ – وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ – قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.[1]

إنهم من خيرة الناس اختارهم الله تعالى من أصفى القلوب وأرق الأفئدة وأقوى الأرواح لمرافقة النبي ﷺ ومؤازرته، كانت لهم مع الله تعالى أحوال وهي ليست حكراً عليهم وحدهم بل هي إلى يوم القيامة لكل من أخلص قلبه لله فأغمض بصره عما حرم الله ففتح الله له عين قلبه أي بصيرته فرأى بها ما يجري مع الروح. ولنسائم الروح مع الصحابة الكرام تتمة...

[1] صحيح مسلم (4/ 2106) عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ.

12- أرواحٌ تنسمت من روح النبوة

روحانية صحابة رسول الله ﷺ، مدعاة للعجب، فقد وصلت الشفافية الروحية لعدد منهم إلى درجة تشهد فيها الغائب وترى فيها الغيب! بدءاً من الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، فحين حضرته الوفاة ، وكانت زوجته حبيبة بنت خارجة حامل، جعل يوصي ابنته السيدة عائشة أم المؤمنين بإخوتها، فقال لها: إنما هما أخواك وأختاك، استغربت عائشة إذ ليس لها سوى أخت واحدة هي أسماء زوجة الزبير بن العوام، رضي الله عنها وعن زوجها، فقالت عائشة: هذه أسماء فمن الأخرى؟ قال: ذو بطن ابنة خارجة – أي التي في بطن حبيبة إبنة خارجة زوجته– قال: فإني أراها جارية فاستوصوا بها خيراً [1]. فكيف عرف أبو بكر أن مولودته ستكون أنثى!

زوجة أبي بكر هذه، حبيبة بنت خارجة، لها أخ صحابي، هو زيد بن خارجة الانصاري ممن شهد بدرا وروى عن النبي ﷺ حديثاً، وتوفى في خلافة عثمان بن عفان بالمدينة وهو الذي يروى عنه انه تكلم بعد الموت، كان غُشي عليه فحسِبوه مات ثم أفاق فتكلم بكلمات ثم طُفئ[2].

فعن النعمان بن بشير، قال: توفي رجل منا يقال له خارجة بن زيد، فسجينا عليه ثوبًا وقمت أصلي، فسمعت ضوضأة، فانصرفت فإذا به

[1] التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل (4/ 351).
[2] مشاهير علماء الأمصار (ص: 37)

يتحرك، وظننت أن حية دخلت بينه وبين الثياب، فلما وقفت عليه قال: أجلد القوم وأوسطهم عبد الله عمر أمير المؤمنين، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم كان في الكتاب الأول صدق صدق عبد الله أبو بكر أمير المؤمنين، الضعيف في جسمه القوي في أمر الله، وفي الكتاب الأول صدق صدق عبد الله عثمان أمير المؤمنين الضعيف العفيف المتعفف، الذي يعفو عن ذنوب كثيرة، خلت ليلتان وبقيت أربع، اختلف الناس ولا نظام، وأبيحت الأحماء، أيها الناس، اقبلوا على إمامكم واسمعوا له وأطيعوا، فمن تولى فلا يعهدن دمًا، كان أمر الله قدرًا مقدورًا ثلاثًا، هذا رسول الله ﷺ، سلام عليك يا رسول الله، هذا عبد الله بن رواحة ما فعل خارجة بن زيد، ثم رفع صوته، فقال: يقول: **{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى}** [المعارج: 15] أخذت بئر أريس ظلمًا، ثم خفت الصوت فرفعت الثوب، فإذا هو على حاله ميت[1].

ماذا رأت روح هذا الصحابي؟ شيئاً من الماضي وبعض الحاضر وبعض المستقبل، أين كانت لحظة وفاة صاحبها مشغولة بالموت؟ أم محلقة إلى ما قبل الموت وبعد الموت!

عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: " كُنَّا إِخْوَةً ثَلَاثَةً، وَكَانَ أَعْبَدَنَا وَأَصْوَمَنَا وَأَفْضَلَنَا الْأَوْسَطُ مِنَّا، فَغِبْتُ غَيْبَةً إِلَى السَّوَادِ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى أَهْلِي، فَقَالُوا: أَدْرِكْ أَخَاكَ، فَإِنَّهُ فِي الْمَوْتِ، فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهِ، فَانْتَهَيْتُ

[1] معرفة الصحابة لابن منده (ص: 509-510). التاريخ الأوسط (1/ 61).

وَقَدْ قُضِيَ وَسُجِّيَ بِثَوْبٍ، فَقَعَدْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ أَبْكِيهِ، قَالَ: فَرَفَعَ يَدَهُ، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قُلْتُ: أَيْ أَخِي أَحْيَاةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَقِيتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَلَقِيَنِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، وَإِنَّهُ كَسَانِي ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ، وَإِنِّي وَجَدْتُ الْأَمْرَ أَيْسَرَ مِمَّا تَحْسَبُونَ ثَلَاثًا، فَاعْمَلُوا وَلَا تَفْتُرُوا ثَلَاثًا، إِنِّي لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَبْرَحَ حَتَّى آتِيَهُ، فَعَجِلُوا جَهَازِي، ثُمَّ طُفِئَ فَكَانَ أَسْرَعَ مِنْ حَصَاةٍ لَوْ أُلْقِيَتْ فِي الْمَاءِ، قَالَ: فَقُلْتُ: عَجِّلُوا جَهَازَ أَخِي ".[1]

وها هو سلمان الفارسي رضي الله عنه يتنسم روحانية جلساته مع رسول الله ﷺ، بعد انقضاء، فقد جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه فدخلا عليه في حصن في ناحية المدائن، فأتياه فسلَّما عليه وحيَّياه، ثم قالا: أنت سلمان الفارسي؟ قال: نعم، قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ قال: لا أدري، فارتابا وقالا: لعله ليس الذي نريد، قال لهما: أنا صاحبكُما الذي تريدان، إني قد رأيت رسول الله ﷺ وجالسته، فإنما صاحبه من دخل معه الجنة فما حاجتكما؟ قالا: جئناك من عند أخٍ لك بالشام، فقال: من هو؟ قالا: أبو الدرداء قال: فأين هديته التي أرسل بها معكما؟ قالا: ما أرسل معنا هدية، قال: اتقيا الله وأدِّيا الأمانة، ما جاءني أحد من عنده إلا جاء

[1] من عاش بعد الموت لابن أبي الدنيا (ص: 18).

معه بهدية، قالا: لا يُرع علينا هذا، إنَّ لنا أموالاً فاحتكم فيها. قال: ما أريد أموالكما ولكني أريد الهدية التي بعث بها معكما، قالا: والله ما بعث معنا بشيء إلا أنه قال لنا: إنَّ فيكم رجلاً كان رسول الله ﷺ إذا خلا به لم يبغِ أحداً غيره، فإذا أتيتماه فاقرِئاه مني السلام. قال: فأيُّ هدية كنت أريد منكما غير هذه، وأيُّ هدية أفضل من السلام تحية من عند الله مباركة طيبة[1].

كان جُلُّ ما يطلبه سلمان، أن يستذكر مع من حضر، الأيام السالفة التي قضاها مع النبي ﷺ ومع إخوانه من الصحابة، حتى تنتعش روحه من هذه النسائم الطيبة.

وأما الصحابي عمران بن حصين رضي الله عنه، الذي مرض مرضاً طويلاً اقعده في بيته واضطره لملازمة فراشه، حدّث قتادة أن الملائكة كانت تصافحه[2]، وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم، كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ مِنْ جَوَانِبِ بَيْتِهِ فِي عِلَّتِهِ[3]، ويقول عنه أهل البصرة إنه كَانَ يرى الحفظة[4]، وفي طبقات الشافعية الكبرى للسبكي كان عمرَان بن حُصَيْن رضى الله عَنهُ يسمع تَسْبِيح الْمَلَائِكَة [5].

---

[1] الطبراني عن أبي البختري.
[2] الطبقات الكبرى ط دار صادر (4/ 288)
[3] معرفة الصحابة لأبي نعيم (4/ 2108)
[4] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 1208)
[5] طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (2/ 333)

فهل كان هذا الأمر حكراً على الصحابة الكرام أم أنه ينسحب على ما تلى تلك الأيام الطيبة، والجواب البشرى عند رسول الله ﷺ: فعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ قِيٍّ،(فلاة قفر)، فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً فَلْيَتَيَمَّمْ، فَإِنْ أَقَامَ صَلَّى مَعَهُ مَلَكَاهُ، وَإِنْ أَذَّنَ وَأَقَامَ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ جُنُودِ اللهِ مَا لَا يُرَى طَرَفَاهُ»[1] فهنيئاً لمن أحسن الطهارة وأحسن الوضوء وأجاد الاستحضار الروحي قبيل الصلاة ثم انقطع عما سوى الله وصلّى صلاة يخشع لها الجسد وترتقي بها الروح فيشعر بما حوله من عوالم اخرى.

ولما تنازل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية قدم من الكوفة إلى المدينة، فنال رجل يدعى سفيان بن الليل من سيدنا الحسن بكلام لاذع، فقال الإمام الحسن: لا تقل ذلك، فإني سمعت أبي يقول لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية، فعلمت أن أمر الله واقع، فكرهت أن يهراق بيني وبينه دماء المسلمين.[2]

فوالله ما هكذا يكون التخاذل بل هو الحكمة والتبصر والتدبر ولو على حساب الكرامة الشخصية، صدّق روحَ أبيه الإمامِ علي، من جهة وأسقط حق نفسه درءاً لمزيد من الفتن وحقناً لدماء المسلمين.

[1] المعجم الكبير للطبراني (6/ 249)
[2] معجم الصحابة للبغوي (5/ 372)، عن سفيان بن الليل.

وماذا عن خَالِد بن الْوَلِيد رضى اللّه عَنهُ وَمَا اشْتهر من قصَّة أَنه شرب السم وَلم يضرّهُ لمجرد ان قال: "بسم اللّه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم"![1] أين كانت روحه في تلك اللحظة وكيف استطاعت ان تعقم جسه من ذلك السم الزعاف، وهل يملك الجسم إلا أن يطيع الروح التي استمدت عقارها من فوق سبع سماوات.

وماذا عن البراء بن معرور رضي اللّه عنه وهو الذي كانت روحه تتوق إلى الصلاة إلى الكعبة قبل أن ينزل بذلك قرآن، فكان كلما وقف ليصلي تحسر لأن القبلة كانت لا تزال إلى جهة المسجد الأقصى.

كَانَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ أَوَّلَ مَنِ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ حَيًّا وَمَيِّتًا قَبْلَ أَنْ يُوَجَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ – ﷺ – أن يستقبل بيت المقدس والنبي ﷺ يومئذ بمكة. فأطاع البراء النبي.

ووافته المنية قبل قدوم النَّبِي ﷺ الْمَدِينَة بِشَهْر وقبل أن تتحول القبلة إلى ما اشتهاه. فقال: وَجِّهُونِي فِي قَبْرِي نَحْوَ مكة.

وكان البراء بن معرور أول صحابي يصلي عليه النبي في المدينة، فانْطَلَقَ بِأَصْحَابِهِ فَصَفَّ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَارْضَ عَنْهُ وَقَدْ فَعَلْتَ.[2]

---

[1] الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني (2/ 549).
[2] السنن الكبرى للبيهقي (3/ 539).

كانت روحه تعبر إلى المستقبل وتسابق الوضع القائم وتتمنى لو تعيش يوم يصدر القرار الإلهي بتحويل اتجاه القبلة.

ما هي الصفة التي تجمع هذه العينة من الصحابة الكرام؟ إنها عينة من الذين احبوا رسول الله فأحبوا الله، فبذلوا لله، وأسقطوا حقوق أنفسهم فتولاهم الله.

أجسادهم عاشت في الأرض وأرواحهم اضطرمت شوقاً لخالقها، ففتح لهم باباً يتنسمون منه روائح الجنان ويبتغون منه رضى الرحمن.

هذه العينة يجمعها حب الله ورسوله، وسبيل تحقيق هذا الحب الطاعة والامتثال، لرسول الله ﷺ، بلا شروط ولا قيود، واجتناب ملاهي الدنيا والانشغال بذكر الله تعالى ما استطاعوا.

والتتمة مع صحابة آخرين وتابعين ميامين...

13- روح الصدق

روح الصدق والإخلاص، هي الروح التي عثرت على مبتغاها، فحين عاودت اتصالها بربها، ارتاحت بين يدي من دلها وأرشدها فصدقته في كل شيء. هي روحٌ كروحِ الصحابي الكبير ثابت بن قيس بن شماس، الأنصاري الخزرجي، رضي الله عنه، اختُبِر وامتُحِن اكثر من مرة، فظهر صدقه لله ولرسوله وللناس.

هو خطيب رسول الله الجهري الصوت. كانت أول خطبة له حين قدم رسول اللهِ ﷺ المَدِيْنَةَ فَقَالَ له ثابت: نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَوْلاَدَنَا فَمَا لَنَا؟ قَالَ: "الجَنَّةُ". قَالُوا: رَضِيْنَا.[1] وكان ثابت ممن يثني عليهم رسول الله ﷺ ويقول: "...نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بنُ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ".[2]

كَانَ ثابت جَهِيْرَ الصَّوْتِ خَطِيْباً بَلِيْغاً. أخبر الإمام الزُّهْرِيِّ أَنَّ وَفْدَ تَمِيْمٍ قَدِمُوا وَافْتَخَرَ خَطِيْبُهُم بِأُمُوْرٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِثَابِتِ بنِ قَيْسٍ: "قُمْ فَأَجِبْ خَطِيْبَهُم" فَقَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَبْلَغَ وَسُرَّ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمُوْنَ بِمَقَامِهِ.[3]

---

[1] السنن الكبرى للنسائي (7 /340)، عن أنس.
[2] الترمذي واحمد وابن حبان عن أبي هريرة.
[3] الخصائص الكبرى للسيوطي (2 /58)عَن الزُّهْرِيّ وَسَعِيد بن عَمْرو.

من أهم خصائله تسليمُه الكلّي للنبي ﷺ، لم يكن ثابت وسيماً فكرهته زوجته جميلة [1]، وجاءت فجراً تشكوه إلى النبي ﷺ، طالبة الطلاق، تَقُوْلُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ لاَ أَنَا وَلاَ ثَابِتُ بنُ قَيْسٍ، وتقول: مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ قَالَ: "أَتَرُدِّيْنَ عليه حديقته"؟ (وكانت سوارين من ذهب)، قالت نعم. فاختلعت منه.[2] فرضي رغم حبه الشديد لها.

نزلت في حقه عدة آيات من القرآن الكريم. كان منها: أن ثابت بن قيس بن شماس، جَدَّ نخلا (قطفه) فقال: لا يأتين اليوم أحدٌ إلا أطعمته! فأطعم، حتى أمسى وليست له ثمرة، فقال الله: **{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }** [الأنعام: 141] [3].

ومن الآيات ما نزل في حقه حين افْتَخَرَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وأيم الله لقد أذنبنا ذنباً مرةً في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال: اقتلوا أنفسكم ففعلنا، فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا. فقال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله

---

[1] سنن إبن ماجه (208/3)، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. مسند أحمد ط الرسالة (26/ 18) عن سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ.

[2] (السنن ص للنسائي) 3462 , (أبو داود) 2227 , (أحمد) 27484 , (البخاري) 4971. عن عائشة.

[3] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر(12 /174). في تفسير الآية 141 من سورة الأنعام.

إن الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها، وكذا قال ابن مسعود وعمار بن ياسر[1].

فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي".[2]

فأنزل الله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}** [النساء: 66]. قال المفسرون: (كان ثابت من القليلِ الذي استثنى الله عز وجل)[3].

جاء ثَابِتَ بْنَ قَيْس إلى النبي ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَقَدْ خَشِيتُ أنْ أكُونَ قَدْ هَلَكْتُ؟. قَالَ: "لِمَ؟ ". قَالَ: قَدْ نَهَانَا الله أنْ نُحْمَدَ بِمَا لَمْ نَفْعَلْ. وَأجِدُنِي أحبُّ الحَمْدْ. وَنَهَانَا الله عَنِ الْخُيَلاءِ، وَأجِدُنِي أُحِبُّ الْجَمَالُ، وَنَهَانَا أنْ نَرْفَعَ صَوْتَنَا فَوْقَ صَوْتِكَ، وَأنَا امْرُؤ جَهِيرُ الصَّوْتِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "يَا ثَابِتُ، ألاَ تَرْضَى أنْ تَعِيشَ حَمِيداً، وَتُقْتَلَ شَهِيداً، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ ". قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ الله.[4]

---

[1] تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن(3 /340)
[2] تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (2/ 441)
[3] تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/ 341).
[4] موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (7/ 239)، عن اسماعيل بن ثابت.

تسبب الصوت الجهوري لثابت رضي الله عنه بحادثة خلّدت ذكره على مر الأزمان والقرون. فقد نزلت بحق ثابت وصحابة آخرين آية من القرآن، فقد كان في أذنه وقر، وكان جهوري الصّوت، فإذا كلّم إنسانا جهر بصوته، فربّما كان يكلّم رسول الله ﷺ فينادي بصوته، فأنزل الله سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)}** [الحجرات].

قعد ثابت في الطريق، فمرّ به عاصم بن عدي، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوّف أن تكون نزلت فيّ، وأنا رفيع الصوت، أخاف أن يحبط عملي، وأن أكون من أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتا البكاء، فأتى امرأته فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي، فشدّي على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى إذا خرجت عطَفه، وقال: لا أخرج حتّى يتوفّاني الله، أو يرضى عنّي رسول الله، فأتى عاصم رسولَ الله، فأخبره بخبره. فقال: «اذهب، فادعه لي». فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده، فجاء إلى أهله، فوجده في بيت الفرس، فقال له: إنّ رسول الله يدعوك، فقال: أكسر الصبّة، فأتيا رسول

اللّه، فقال له رسول اللّه ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت؟» فقال: أنا صيِّت وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ، فقال له رسول اللّه ﷺ: «أما ترضى أن تعيش سعيدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنّة»، فقال: رضيت ببشرى اللّه ورسوله، لا أرفع صوتي أبداً على رسول اللّه، فأنزل اللّه سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3)}** [الحجرات].

قال أنس: فكنّا ننظر إلى رجل من أهل الجنّة، يمشي بين أيدينا.[1]

فعاش فعلاً حميدا، وقتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب في اليمامة.

فما علاقة ثابت بمسألة مسيلمة ؟ وكيف قتل؟ وما الذي جرى بعد ذلك؟

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قدم مسيلمة الكذاب على عهد اللّه رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ المَدِيْنَةَ، فجعل يقول: إن جعل لي محمدٌ الأمرَ من بعده اتبعتُه. وقدِمها في بشَرٍ كثيرٍ من قومه. فأقبل النبي ﷺ، ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: "إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر اللّه فيك،

[1] تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/ 72)

ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني أراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني" ثم انصرف[1].

لماذا جعل رسول الله ﷺ ثابت بن قيس إلى جانبه خلال تلك المقابلة، أمر لا ندركه إلا لاحقاً بعد وفاة رسول الله وتحديداً في حرب الردة. وكأن هذه المواجهة مع مسيلمة الكذاب حمّلت ثابت بن قيس أمانة عظيمة حملها حتى لقي الله تعالى.

توفي رسول الله ﷺ واشرأب النفاق في جزيرة العرب، فعقد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه الألوية لقتال المرتدين، فعقد لخالد على الناس، وأمر على الأنصار خاصة ثابت بن قيس بن شماس، وأمر خالداً أن يصمد لطليحة الأسدي. وما أن هزم الله تعالى طليحة ومن معه حتى سار الجيش إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب.

فلمّا كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة، رأى ثابت في المسلمين بعض الانكسار، وانهزمت طائفة منهم، فقال: أف لهؤلاء، وما يصنعون. ثمّ قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله

[1] سير أعلام النبلاء ط الحديث (2/ 186)

مثل هذا، ثمّ ثبتا، فحفر سالم لنفسه حفرة، فقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ، ثم قاتل حتى قتل شهيدا[1].

أَتَى أَنَسٌ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ وَقَدْ حَسَرَ عَنْ فَخِذَيْهِ وَهُوَ يَتَحَنَّطُ (أي يتطيب بطيب الموتى)، فَقَالَ: يَا عَمِّ، مَا يَحْبِسُكَ أَنْ لاَ تَجِيءَ؟ قَالَ: الآنَ يَا ابْنَ أَخِي[2]، فتقدم ثابت وَقد لَبِسَ كفنه، بعد أن انْهَزَمَ القَوْمُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلاَءِ وَأَعْتَذِرُ مِنْ صَنِيْعِ هَؤُلاَءِ بِئْسَ مَا عَوَّدْتُم أَقْرَانَكُم خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم سَاعَةً فَحَمَلَ مع المسلمين فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِل[3]. وتابع المسلمون زحفهم حتى ألجؤوا المرتدين إلى الحديقة وفيها مسيلمة عدو الله، فتسوّر البراء بن مالك الحديقة واقتحمها المسلمون وفتح الله تعالى الحديقة للمسلمين.

لم تنته قصة ثابت، رضي الله عنه، باستشهاده بعد أن بشره رسول الله ﷺ بالشهادة قبل حصولها بوقت طويل.

فما انتهت حرب الردة حتى رآه احد الصحابة في المنام، فَقَالَ: إِنِّي لَمَّا قُتِلْتُ انْتَزَعَ دِرْعِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ وعليه درع فذهب بها وهو في ناحية من المعسكر وعنده فرس مشدود يرعى وقد وضع على درعى برمة فائت

[1] البخاري (2690)، وأحمد (12422)، عن أنس.
[2] صحيح البخاري (27/4)، عن أنس.
[3] البخاري (2845)، وموطأ مالك (6/ 38)، عن أنس.

خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى وائت أبا بكر رضى الله عنه خليفة رسول الله وقل له ان على دينا لفلان حتى يقضى دينى وفلان من عبيدى حر فأخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس رضى الله عنه لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه الوصية[1].

ما دققنا في سيرة ثابت بن قيس رضي الله عنه، إلا لنعلم ان صدقه وإخلاصه، حفظا عليه دينه وثباته. ولنرى أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، رجل امتثل لأمر الله فخفض صوته في حضرة نبيه ﷺ، فإذا بصوته يرتفع بعد موته ويصل إلى خليفة رسول الله وإلى المهاجرين والأنصار ويصل إلى المسلمين حتى يومنا هذا.

روح الصدق هي روح التسليم، بلا تشكيك ولا تردد، هي روح الإيمان الذي وقر في الصدر، روحٌ تحرّج على النفس أن تنثني او تضعف، وتأمرها بالطاعة الكاملة ولو ادى الأمر إلى تقديمها للشهادة. إنها الروح الصادقة التي لا يحجبها موت ولا قبر تخرق الحجب وتبلغ حيث يشاء الله.

[1] تفسير البغوي - إحياء التراث(4 /254).

14- روح القرآن

القرآن، كلامٌ ليس كالكلام، وبيانٌ لا يجاريه بيان، وعلومٌ أصلٌ لكل علم، ومعارفُ هي باب كل معرفة، وبعد ذلك كله، هو أنوار وأسرار: أنوار تهدي إلى سبيل الرشاد، ترشد الضال والغافل، والفاقد والحيران. يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا }** [النساء: 174]. وأسرارٌ، كلما كُشِف سرٌ منها، خضع له العلم والعلماء، والطب والأطباء.

روح القرآن هي روحانيته، التي إذا تُنُسِّمَت، أشاعت في الأجواء سكينة، وفي القلوب طمأنينة، وارتقت بالأرواح إلى العالم الذي جاءت منه، تذكرها بعالم الصفاء والنقاء: عالم قال الله تعالى عنه: **{وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108)}** [طه].

روح القرآن، تنمي قدرات الانسان، نطقاً ومنطقا، بياناً وحكمة: من قرأه باللسان، استمد منه البيان ومن تفكر في الكلمة، استشف منها الحكمة، ومن قرأ بالروح تكشفت له الأنوار والأسرار.

فمن ظن أنه كلام، سمع كلاماً، وغابت عنه أفهام ومهام، إن للقرآن نور وللقرآن روح، ضمّنه المولى تعالى كنوزاً من البيان والحِكَم والقيم والهمم. **{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ...}** [مريم: 12]. **{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2)}** [المدثر].

روح القرآن، هي معيار حب الانسان، للرب الرحمن، من أعاره اهتمامه صدق في الطلب، ومن جعله وراء ظهره ما أغنى عنه ماله وما كسب.

سلوا العاشقين كيف يحتفظون برسائل المعشوقين، فإذا اشتاقوا قلّبوها، وتأملوا فيها، واستذكروا أيامهم ولياليهم. سلوا من اشتاق لحبيبه، كيف يأخذ بعض أشيائه، فيضمها ويشمها، ويستذكر الوعود والعهود.

هكذا حال الروح التي تعهّد صاحبها القرآن، تتغذى من آياته، تطرب لسماعه، تحلق في فضائه، تستذكر النعيم وجناته، وتتهيب لذكر الجحيم وأنّاته.

روح القرآن، هي روح الوصال بالله عز وجل، محبة وجمالا، وتهيباً وإجلالا: **{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)}** [الحجر].

روح القرآن، تشعر الأرواح العاشقة، بالأنس والود والمحبة، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: **{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23)}** [الزمر].

روح القرآن، تهدي الأرواح الحائرة، وترمم النفوس المنكسرة، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82)}** [الإسراء]. وقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ**

جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57)} [يونس].

روح القرآن، تبعث على التذكر، يقول الله تعالى في سورة ق: **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}** [ق: 45]، ويقول في سورة الأعراف: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201)}**.

تعرف الروح أصلها ومصدرها، يُشغِلها العبد بالمعاصي والغفلات ، فإذا أشرقت روح القرآن هيّجت الذكرى، وإذا بروح الانسان قد تذكرت وخشعت فبكت وندِمت.

روح القرآن، تجعل حامل القرآن موزونا، لقراءته محزونا، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا، وَتَغَنَّوْا بِهِ فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِهِ فَلَيْسَ مِنَّا» [1].

خيّمت هيبة القرآن على روحه، فصارت تحسب حساباً لكل سكْنة وحركة، قال نبينا عليه الصلاة والسلام:

" لا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَحْتَدَّ مَعَ مَنْ يَحْتَدُّ ، وَلا يَجْهَلُ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ ، لأِنَّ الْقُرْآنَ فِي جَوْفِهِ ". [2]

[1] سنن ابن ماجه (1/ 424)، عن سعد بن أبي وقّاص.
[2] كنز العمال (1/ 525) (الخطيب عن ابن عمر)

روح القرآن، تجعل حامل القرآن، إذا صدق، وريثاً محمدياً، يتابع الرسالة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَكَأَنَّمَا اسْتُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يُوحَى إِلَيْهِ[1].

بات يحمل مع النبي ﷺ من هذا الإرث العظيم فإذا عمل به وعلّمه كان من أهل الله أهلِ القرآن وخاصتِه. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « للهِ مِنْ النَّاسِ أَهْلُونَ » ، قِيلَ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ ، قَالَ : « أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ ، وَخَاصَّتُهُ » [2].

من لزِم القرآن وعاش معه، صار معلمه ومرشده وهاديه، يتعلم منه القيم والحكم ويضرب منه الأمثال ويستشهد بالأقوال، يتنبه لمزالق الشهوة، ويتحسب لمكائد الشيطان، يتورع عما يوصل إلى الحرمات، ويزهد فيما أبيح له من ملذات. صان لسانه، وحصن جَنانه، غض بصره وتفكر في بديع صنع الله، صنعِ الله الذي أتقن كل شيء.

حاملُ القرآن خالف نفسه، بل انسى نفسه حظوظَها: قرأ في آيات البر فبرّ، وفي آيات الكف فكف، وفي آيات العفو فعفا، وفي آيات العَفاف فعف، وفي آيات الحلم والصبر، فكظم غيظه، وهضم حقه وحظه.

[1] المعجم الكبير للطبراني جـ 13، 14 (ص: 649)، عن عبد الله ابن عمرو.
[2] (أحمد والنسائي في الكبرى والحاكم في المستدرك) عن أنس.

وأعظم ما في القرآن التوحيد، نظر في أسماء الله تعالى وصـفاته، فعلم أن الله تعالى أحاط بكل شـيءٍ علما، لا تخفى عليه خافية، سميع بصـير، قوي قدير، فراقب نفسه، وحاسب واحتسب ليوم العرض الأكبر.

روح القرآن ترسـم للعبد طريقه، تعرّفه أن الآخرة خيرٌ وأبقى، فيسـعى لها سعيها، دون أن ينسى نصيبه من الدنيا..

روح القرآن تذكّر روح الانسـان، أتعلمين انك لن ترجعي إلى الملكوت الـذي خرجـت منـه، إلا إذا اتعظـتِ والتزمـتِ. فتبكي على الفراق، وتتذكرُ المنزلةَ الأولى فتشتاق.

عرفت روحه أن البرزخ بعد الوفاة، إما حفرةٌ من حفر النار، أو روضـةٌ من رياض الجنة. عرفت أن القرآن سـيؤنسـها في وحدتها، إذا اتخذته في الدنيا انيسا، وسيتركها تعاني من وحشتها إذا تجاهلته، وأدارت له ظهرها، ولم تعمل به.

عرفت أن القرآن سـيكون، إما قائدها إلى الجنة، أو سـائقها إلى النار، قال رسـول الله ﷺ: « يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الرَّجُلِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ ، فَيَقُولُ : أَنَا الَّذِي أَظْمَأْتُ نَهَارَكَ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ ».[1]

الروح هي الأعرف بنفاق صـاحبها أو بتقواه، فإذا قرأ القرآن على إكراه ومضـض، كشـفت نفاقه، وإذا قرأه بشـوق وخشـية واعتبار، ظهر لها

[1] رواه ابن ماجه في "فضائل القرآن".

تقواه. أما إذا قرأه أمام الناس، فتمايل وأطال، وإذا خلا قرأ منه على عجل، بلا خجل ولا وجل، فذلك النفاق والرياء.

روح القرآن تُساءِل روحَ الانسان: تقول له، يقول الله تعالى: **{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ... (72) }** [الحج]. ويقول تعالى في آخرين: **{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83)}** [المائدة].ثم تسأله: انشدك الله من أي الفريقين أنت؟ ممن تتمعر وجوههم إذا سمعوا الذكر، أم من الذين يتلون ويبكون؟

روح القرآن، هي التي ترتقي بمن يتعهد القرآن، من تالٍ يسمع صوت نفسه، إلى تالٍ يخيل إليه أنه يسمعه ممن أنزل إليه ﷺ حباً وحنانا، إلى تالٍ يسمعه من الروح الأمين يتنزل بالقرآن على القلوب فتكاد تتفطر من الهيبة، إلى تالٍ يسمع كلام الله من الله العلي القدير فيتمنى لو تقومُ الساعة، شوقاً للقاء الموعود.

روح القرآن تذكّر حاملَه: عليك أن تفهم عَظَمَةَ الْكَلَامِ والمتكلم وَعُلُوَّهما، وَفَضْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتعالى، وحنانه على خلقه، في نزوله عن عرش جلاله، إلى درجة إفهام خلقه، والله غني عن العالمين.

روح القرآن تبث في روح الانسان العزة والعز، والمناعة والمنعة، ومن تجاهل القرآن زَلّ وذَلّ. وهانت عليه كرامته، وزالت من وجهه هيبته.

ففقد حظه من آية، {... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة "المنافقون": 8].

روح القرآن، تعلو بروح حامل القرآن، فوق كل مرتبة، قال عليه الصلاة السلام: "من أعطاه الله حفظ كتابه، فظن أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد غمط أفضل النعمة".[1]

روح القرآن تذكر روح حامل القرآن، بفضل الله عليه، أنْ منّ عليه بحمل أثمن كتاب وأرقى كلام وأسمى روح، قال تعالى : {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 231]

روح القرآن تدعو كل إنسان: تعال، إقترب، وتعلّم، فتغنم، ولا تبتعد وتسأم، فتندم.

[1] كنز العمال (1/ 518)، (البخاري في التاريخ الكبير وشعب الإيمان للبيهقي عن رجاء الغنوي مرسلا).

15-روح الصلاة

الصلاة، الركن الثاني في الإسلام، والفرض السامي الذي فُرض على أمة سيدنا محمد ﷺ، في أعلى مكان، وفي أسمى سماء، ليلةَ المعراج، ولم يُفرض وحياً على الأرض، مثل سائر العبادات؟

الزائر هو نبينا ﷺ، والمزور الكريم هو ربنا العظيم جل وعلا، والمزور كريم بل أكرم الأكرمين، أكرم ضيفه وأرضاه وودّعه بهدية له ولأمته، هي هدية ومنّة وليست استفزازاً ولا عقوبة. بدون روح الصلاة لا يشعر بالربوبية، هي علامة الإذعان والرضى والتسليم، ومن أسقطها فكأنما رفض الاعتراف بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا. لذلك، كانت لها المكانة العليا بعد شهادة أن لا إله إلا الله، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.[1]

روح الصلاة ! وهل للصلاة روح؟ نعم إنها الصلة الروحية للعبد بربه جلّ وعلا. تعني أن المولى العظيم، قد أذن للعبد المؤمن، بأن يتأهب ويتأدب، ويقف بين يديه، هي إعلان الولاء لله تعالى، وتذكير بعبادته، وحده لا شريك له، والتزام بالعهد الذي أخذه الله تعالى على بني آدم، يوم سألهم الست بربكم؟ قالوا: بلى.[2]

---

[1] حديث: " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ , فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ , وَإِنْ فَسَدَتْ , فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ". رواه الترمذي (413)، عن أبي هريرة.

[2] قال الله تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}** [الأعراف: 172]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ الشَّظِيَّةِ لِلْجَبَلِ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللهُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ، يَخَافُ شَيْئًا؟ قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ "[1].

هي الركن الذي فرضه الله عز وجل على نبيه، وعلى أمة نبيه، فمن أداها حفظ عهد الله وعهد رسوله، قال ﷺ: " الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ ".[2]

روح الصلاة، هي التي تُشعِر العبد بالتهيب، قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قِبَلَ وَجْهِهِ".[3]

روح الصلاة لا تتحقق إلا بالتعاون بين الروح والجسد، فللجسد صلاته وللروح صلاتها ولا يستقيم الأمر إلا باجتماع الصلاتين: صلاة الجسد ثباتُه وسكونه عند قراءة القرآن قياماً، وخضوعه بالركوع والسجود والقعود والقيام وكل ذلك بإطمئنان، حتى يتسنى للروح ان تصفو وأن تحلّق وتسمو.

رَأَى التابعي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ رحمه الله رَجُلًا يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا، لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ».[4]

روح الصلاة، هي قيام القلب خائفاً راجياً ، بين يدي الحق سبحانه وتعالى، والتخلي عن علائق الدنيا ولو لبضعة دقائق.

---

[1] رواه النسائي (666)، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ.
[2] (الترمذي) 2621 , (والنسائي في السنن الصغرى) 463، عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه.
[3] الأسماء والصفات للبيهقي (2/ 397) عن ابن عمر.
[4] مصنف ابن أبي شيبة (6787).

ما الوضوء إلا لإبعاد الروح عن ضوضاء الدنيا ولهيبها، وإطفاءِ حرِّها وشرِّها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَأَطْفِئُوهَا بِالصَّلَاةِ»[1] روح الصلاة هي الانصراف إلى الرب المعبود بالكلية، ونسيان الأنا والناس، وتذكره هوْ ولا شيء غير هوْ. يقول النبي ﷺ: "ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلِّي ركعتين مقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة"[2].

روح الصلاة هي التأهب والتهيب، سئل علي بن الحسين رضي الله عنهما لم يصفر وجهه عند الوضوء فأجاب: (أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟).

روح الصلاة تعلمنا أن الصلاة لا تبدأ مع تكبيرة الإحرام، بل منذ عقد النية لأداء الصلاة وعند الوضوء وعند اعمال الخطى إلى المسجد وعند انتظار الصلاة، ففي الطريق إلى المسجد ينصرف العبد إلى الاستغفار وهو وضوء الروح، وتبدأ المناجاة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا رِيَاءً، وَلَا سُمْعَةً، وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ، سُخْطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنَ النَّارِ،

[1] الطبراني في المعجم الأوسط (9/ 173) عَنْ أَنَسٍ
[2] رواه مسلم عن عقبة بن عامر.

وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ "[1].

روح الصلاة تحدد لكل عضوٍ ظاهر أو باطن في الانسان موقعه من الصلاة وما ينبغي عليه فعله خلالها، أين القلب وأين العقل وأين النفس وأين الجوارح عندما يهم العبد بالصلاة؟

كان الإمام علي كرّم الله وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: (جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها).

روح الصلاة أن يصدق في الوقوف بين يديه تعالى، منقطعاً متخلياً عن الدنيا حلوها ومرها كنوزها وهمومها والناس قريبهم وبعيدهم، عدوهم وحبيبهم، منقطع الحس والعقل والقلب عن كل ما سوى الله. خالعاً الحول والقوة، مستحياً من الله تعالى على التقصير في حقه، بالانكسار والتمسكن بين يدي القوي القادر، معظما لخالق السماوات والأرض وما بينهما، مرتجفا من هول يوم لا مرد له من الله، خائفاً من أن يصير إلى النار، راجياً العفو من رب غفور رحيم. ولسان حاله يقول:

[1] سنن ابن ماجه (1/ 256). عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } [الأنعام: 94].

روح الصلاة أن يقف العبد بين يدي الله خاشعاً، كما قال الله تعالى: **{بسم الله الرحمن الرحيم، قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2)}** [المؤمنون]، وهو يدعو قائلاً: "اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب".[1]

شتان بين وقفة كهذه وبين من يقف مخادعاً متصنعاً، قال رسول الله ﷺ: " تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: " خُشُوعُ الْبَدَنِ وَنِفَاقُ الْقَلْبِ".[2]

وقَالَ عليه الصلاة والسلام: "لَا يَزَالُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ، انْصَرَفَ (الله) عَنْهُ ".[3]

وقال ايضاً: " مَنْ أَحْسَنَ الصَّلَاةَ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ، وَأَسَاءَهَا إِذَا خَلَا فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ يَسْتَهِينُ بِهَا رَبَّهُ ".[4]

فكيف بالذي تفوته صلاة؟ قال عليه الصلاة والسلام: "الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله".[5] (أي أصيب بنقص او بلوى في أهله

---

[1] (مسلم) 147 - (598) , (البخاري) 711 , (النسائي في السنن الصغرى) 60 , (أبو داود) 781، عن أبي هريرة.
[2] شعب الإيمان (9/ 221)، عن أبي بكر.
[3] مسند أحمد ط الرسالة (35/ 400)،عن أبي ذَرٍّ
[4] شعب الإيمان (4/ 483)، عن عبد الله ابن مسعود.
[5] (مسلم) 626 , (البخاري) 528، عن ابن عمر.

وماله). وقال صلوات الله وسلامه عليه: "من ترك صلاة متعمداً، فقد تبرأ من ذمة محمد ﷺ".[1] زاد ابن عباس: " لقي الله تعالى وهو عليه غضبان".[2]

وكيف بمن ينام عن صلاة الصبح، قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».[3]

وكيف بمن لا يصلي أبداً؟ قال الله تعالى: ما سلككم في سقر؟ (وهو وادٍ في جهنم)، **{قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}** [المدثر: 43].

روح الصلاة تعلمنا أن لا خشوع بلا خضوع، الخضوع من العبد والخشوع من الله تعالى: الخضوع هو إذعان القلب والعقل والجوارح، والخشوع حركة في القلب وسكون يعم البدن، وسكينة في النفس وأنس تشعر به الروح.

روح الصلاة هي أشبه بالراعي للغنم او الواعظ في الجيش يحرض المتقدمين ويزعّ المتأخرين، قَالَ النبي ﷺ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى مَنَازِلِ قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ»[4].

---

[1] الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (6/ 215)، عَنْ أُمَيْمَةَ.
[2] السنن الكبرى للبيهقي (2/ 438).
[3] صحيح مسلم (1/ 454)، عن جندب بن عبد الله.
[4] صحيح البخاري (3/ 122)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

روح الصلاة وتيرة لا تهدأ، وهمة لا تفتر، ومتى اصطفت الصفوف تنسمت الأرواح سكينةً وبرداً وسلاما. كان عليه الصلاة والسلام يقول: "يا بلالُ، أقِمِ الصَّلاةَ، أرِحْنا بها"[1]

اللهم تقبل منا صلاتنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا ولا تضرب بها وجوهنا يا رب العالمين.

[1] سنن أبي داود (7/ 338).

16- روح العطاء

الحمد لله جامع الناس في الدنيا وفي الآخرة، القائل: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [الحجرات: 13].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أوضح معاني هذا التعارف ومنها قوله: " إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ الَّذِي يَسَعُ فُقَرَاءَهُم".[1]

الروح اليوم هي روح العطاء، روح الذي ينظر حوله، فيرى من هو أفقر منه، وأمرض منه، وأحوج منه، فيشتد الأمر عليه، حزناً ورِقّة، فإذا بروح العطاء تلهمه أن تصدَّق وأنفِق وأعِن وواسِ وابتسم، فيتبدل الضيقُ فرجا والشدةُ راحة والحزنُ سرورا.

روح العطاء تعرف الدواء لكل داء، وأن العافية مرهونة بالأداء، وأن بعض الأمراض لا تعالج إلا بالصدقة ، قال رسول الخير ﷺ: "داووا مرضاكم بالصدقة".[2] ومن أشدّ الأمراض فتكاً أمراض النفس، والشح حاضر في الأنفس، ملازم لها، قال الله تعالى: **{وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}** [النساء: 128].

---

[1] الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 49)، عَنْ عَلِيّ .

[2] السنن الكبرى للبيهقي (3/ 536)، عن عبد الله ابن مسعود.

روح العطاء تعلّم العبد كيف يخرج من حال القبض الذي إذا تحكم في الصدر أطبقه، وإذا لازم النفس أحزنها، فيخرج من قبضه بقبضة من خير يتصدق بها.

روح العطاء تنبيء من أراد الله به خيراً، أن قضاياه العالقة وأزماته المستعصية، إن هي إلا عالقة ومستعصية على مستوى العباد لا على مستوى القدرةِ الإلهية، وأن التصدق والعطف على ذوي الحاجات، يرضيان ربنا فتُحَلّ الأزمات بأهون السبل، قال الشاعر:

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغيّر الله من حالٍ إلى حالِ

روح العطاء تعلّم أن الطمع والجشع، وحشان يكبران في الأخذ والجمع والكنز، وأن السعادة لا تتحقق إلا بالمنح والتصدق والانفاق. قال الله تعالى: **{وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }** [الحشر: 9].

روح العطاء تعلّم أن الدين بلا إنفاق نفاق، لأن الله تعالى ما ذكر الذين آمنوا إلا أتبعها بكلمة وعملوا، وما ذكر الصلاة إلا أتبعها بالزكاة في اثنين وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم. ففي صحة العمل وفي حسن الأداء دليل على صحة الإيمان.

روح العطاء تحذّر الذين يحجُبون الصدقة عن مستحقيها ويبقونها في أموالهم، أنها جمرةٌ قد تحرق مالهم كلَّه، جاء في الحديث القدسي: " يَا ابْنَ آدَمَ، أَوْدِعْ مِنْ كَنْزِكَ عِنْدِي لَا حَرَقَ، وَلَا غَرقَ، وَلَا سَرَقَ أُوفِيكَهُ

أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ "[1]، وقَالَ رَسُولُ اللهِ، ﷺ ، في ذلك: " صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ , وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ،.."[2].

روح العطاء تبشر بأن الصدقة في السر هي خير ما يكفِّر به العبد من خطاياه: قال ﷺ:" صدقة السر تطفيء غضب الرب".[3] وقال أيضاً:" ومناولة المسكين تقي ميتة السوء"[4]، وأخطر السوءِ سوءُ الخاتمة.

روح العطاء علامة على صحة التوحيد، وإيمانِ اليقين، وسرُّها ثقةُ المتصدق بأنه الله قد رآه يتصدق لا بل أن الله تعالى هو الذي أخذها من يده وأعطاها لمستحقيها، قال تعالى: **{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }** [التوبة: 104].

ولأن الله غنيٌ عن العالمين فإنه يأخذ الصدقة ويربيها للمتصدق ويردها له حينما يكون أحوج إليها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَصَدَّقَ بِتَمْرَةٍ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَقَعَتْ فِي يَدِ اللَّهِ فَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى تَعُودَ فِي يَدِهِ مِثْلَ الْجَبَلِ»[5]

ها قد أصبح بين المنفق وبين الله تعالى علاقة، وكلما تصدق صار أقرب فأقرب، ومن كان في حمى الله تعالى لا يناله سوء ولا مضرّة. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ "[6].

---

[1] عن الحسن مرسلاً، كنز العمال (6/ 352).
[2] الطبراني في الأوسط والكبير عن أم سلمة وعن أبي امامة.
[3] الطبراني في المعجم الكبير (19/ 421)، عن بهز بن حكيم عن جدّه.
[4] الطبراني في المعجم الكبير (3/ 230)، والبيهقي في الشعب، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ،
[5] مسند أحمد مخرجا (16/ 578)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.
[6] شعب الإيمان (5/ 52)،عن أنس بن مالك. المعجم الأوسط للطبراني(6/ 9)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

روح العطاء لا تعرف للعطاء حداً، ولا كماً ولا نوعا، قال عليه الصلاة والسلام: "إن لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم..." [1]، حتى أن للبيت زكاة، قال ﷺ:" زكاة الدار بيت الضيافة".[2] وينسحب ذلك على كل نعمة أنعم الله بها على عبده. فزكاة العافية الخدمة وزكاة العلم تعليمه، وزكاة الطعام إطعام بعضه، وزكاة السعادة والهناء إدخال السرور على قلوب أهل بيت من بيوت المسلمين، قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ، أَوْ أَنْ تُفَرِّجَ عَنْهُ غَمًّا، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعِمَهُ مِنْ جُوعٍ».[3]

روح العطاء تعلّم الفقير أن عليه أن يتصدق هو أيضاً ليعالج شح نفسه فليتصدق على من هو أفقرُ منه. ومن أملق فليتاجر الله بالصدقة.

روح العطاء تحذر النفس من أنها هي سبب مرض صاحبها وشحه وبخله وكرهِ الناس له، وبغض الملائكة له، وغضب الله عليه، لأنه ليس من الناس، ولأنه لا يشعر مع الناس. ولا يشارك الناس فيما آتاه الله من فضله. قال تعالى: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...}**، [التوبة: 103].

روح العطاء تنبه أن ولائم الأغنياء لا تدخل في حساب الصدقة وأن الرياء في النفقة عاقبته وخيمة. فمن أوائل من يقضى عليهم يوم القيامة، "رَجُلٌ

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (7/ 136)،عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ.
[2] التنوير شرح الجامع الصغير (9/ 83)، الرافعي عن ثابت، عن أنس بن مالك.
[3] كنز العمال (6/ 432)،"ابن المبارك عن أبي شريك مرسلا".

وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ "[1].

روح العطاء تعني أن على المنفق أن يعطي من أحب ماله إليه، قَالَ تعالى: **{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}** [آل عمران: 92] . كما تعني أن يعطيَ بحب، فالمحتاج أخٌ لنا في الانسانية وينبغي التعامل معه بحنان ولن يدخل الجنةَ منّان. يقول الله تعالى: **{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ}** [المدثر: 6]، ويقول جلّ وعلا: **{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ }** [البقرة: 263].

روح العطاء تنبّه المنفق أن يعطي بالرجاء لا بالاستعلاء، وذلك خشية ألا يَتَقبل الله منه. يقول الله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60)}**. [المؤمنون].

روح العطاء تحذرنا من كنز الأموال، قال النَّبِيُّ ﷺ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا ".[2]

[1] رواه مسلم عن أبي هريرة.
[2] صحيح البخاري (2/ 115)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

روح العطاء تعلمنا أن الانفاق يرتد على مال المنفق بركة، وعلى أهله وقايةً وعافية، وعلى نفسه إيماناً وتزكية. وأن الله غني، ولا يحتاج إلى صدقة من أحد، يقول تعالى: **{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}** [سبأ: 39]. ويقول كذلك: **{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }** [البقرة: 272].

وفي الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ اللهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ "، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ».[1]

روح العطاء تبشرنا بأن للصدقة ثمارها الطيبة في البرزخ ويومَ القيامة، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَلَى أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ ".[2]

قال رسول الله ﷺ: "إن من تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أموالكم" [3]، وقال: "حصنوا أموالكم بالزكاة".[4]

كما ورد عنه ﷺ أنه قال: " أُمِرتُ أن آخذَ الصدقة من أغنيائكم وأردَّها في فقرائكم".[5]

---

[1] صحيح مسلم (2/ 691)، عن أبي هريرة.
[2] عن عقبة بن عامر، ابن حبان وأحمد والبيهقي في الشعب والطبراني في الكبير.
[3] عن علقمة الخزاعي، في الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم والطبراني في الكبير.
[4] الطبراني في الأوسط والكبير عن عبد الله ابن مسعود وفي شعب الإيمان عن أبي امامة.
[5] شرح صحيح البخارى لابن بطال (3/ 562)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (10/ 512).

روح العطاء، تدفع حركة الحياة إلى الأمام، وتخفف حدة الفروقات في المجتمع، وتخفف نقمة الفقراء على أصحاب رؤوس الأموال، وتعمم روح التآخي، وتجنّب البلاد الثورات والفتن، وتشجع على المواساة والمساعفة، فيصبح الناس، غنيُّهم وفقيرهم، سيّدهم وخادمهم، كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضُه بعضا. انتقلت المنافسة بين الناس على عرَضٍ من الدنيا زائل، إلى التسابق على النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، والله تعالى يقول: **{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [الحديد: 21].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: مكث آل محمد ﷺ أربعة أيام ما طعِموا شيئا حتى تضاغى صبيانهم (أي صاحوا وضجوا وبكوا)، فدخل عليهم النبي ﷺ فقال: "يا عائشة! هل أصبتم بعدي شيئا؟"، فقلت: من أين إن لم يأتنا الله به على يديك؟ فتوضأ وخرج مستحيا ، يصلي ههنا مرة وههنا مرة يدعو، فأتانا عثمان من آخر النهار فاستأذن، فهممت أن أحجبَه ثم قلت: هو رجل من مكاثير المسلمين (كثير الخير)، لعل الله ساقه إلينا ليُجريَ لنا على يديه خيراً فأذِنت له، فقال: يا أماه! أين رسولُ الله ﷺ؟ فقلت: (يا بني! ما طعم آل محمد مذ أربعة أيام شيئا فدخل (عليّ) رسول الله ﷺ متغيراً ضامر البطن)، فأخبرَتْ عثمان بما قال لها وبما ردت عليه، فبكى عثمان ثم قال: (مقتاً للدنيا يا أم

المؤمنين! ما كنتِ بحقيقة أن ينزل بكِ هذا ثم لا تذكريه لي ولعبد الرحمن ابن عوف ولثابت بن قيس ونظرائنا من مكاثير المسلمين). ثم خرج فبعث إلينا بأحمال من الدقيق وأحمال من الحنطة وأحمال من التمر وبمسلوخ (شاة سلخ عنها الجلد) وثلاثمائة في صرة ثم قال: هذه يبطيء عليكم، (يعني حتى تطبخ وتنضج)، فأتانا بخبز وشواء كثير فقال: كلوا أنتم هذا وضَعوا لرسول الله ﷺ حتى يجيء ثم أقسم علي أن لا يكون مثل هذا إلا أعلمته إياه، ودخل رسول الله فقال: "يا عائشة! هل أصبتم بعدي شيئا؟"، قلت: نعم يا رسول الله! قد علمت أنك إنما خرجت تدعو الله ولقد علمت أن الله لن يردك عن سؤالك، قال: "فما أصبتم؟"، قلت: كذا وكذا حمل بعير دقيقا وكذا وكذا حمل بعير حنطة وكذا وكذا حمل بعير تمرا وثلاثمائة درهم في صرة وخبز وشواء كثير، فقال: "ممن؟"، قلت: من عثمان بن عفان دخل علي فأخبرته فبكى وذكر الدنيا بمقت وأقسم علي أن لا يكون فينا مثل هذا إلا أعلمته. فما جلس رسول الله ﷺ حتى خرج إلى المسجد ورفع يديه وقال: "اللهم! إني قد رضيت عن عثمان فارض عنه (ثلاثا)".[1]

[1] فضائل الخلفاء الراشدين لأبي نعيم الأصبهاني (ص: 52)، عن عائشة.

روح العطاء لها سر، كلما زاد العبد في الصدقة، زيد عليه من النعم، وكلما شحت نفس العبد كلما ضيّق على نفسه. قال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر: «أَنْفِقِي، وَلَا تُوكِي، فَيُوكَى عَلَيْكِ».[1]

وليعلم الذي يقبض يده ان اللّه تعالى سيُطعِم من يشاء أن يُطعِمَه من ألفِ طريق غيره، فاللّه غني حميد ولا يعجزه شيء فليحمد المتصدق ربه ثلاثاً: أولاً لأنه أعطاه والثانية لأنه ألهمه أن يتصدق والثالثة أنه أجرى الخير على يديه، ولو شاء اللّه لاستبدله، فقد أقر اللّه النعم على أقوام توسّم فيهم الخير، كي يقضوا بها حوائج المحتاجين، فإذا حجبوها نقل النعم إلى من هم أكرم منهم.

روح العطاء تظهر الرخاء في الأمة، وترفع من شأن أفرادها، يقول نبينا الأكرم ﷺ " الزَّكَاةُ قَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ "[2]. والمعنى أن عز الإسلام وقوته يقومان على ما يبذله المسلمون. ولو أدى المسلمون ما عليهم لما بقي فقير ولا جائع، ولا نازح، هكذا تتجلى العدالة الاجتماعية وبذلك يقوم المسلمون بألين دعوة إلى اللّه وأطيبها، ويقدمون بذلك أبهى صورة عن الإسلام.

[1] مسند أحمد (44/ 481)، عن عائشة.
[2] الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

17- روح الصوم

مع إطلالة شـــهر رمضـــان المبارك، يختلج في روع المســـلم شـــعوران متناقضان، الأول شعور بالخوف من عدم القدرة على الصوم، ومن قلة النوم، ومن تأثر الجسم؛ والشعور الثاني تيارٌ جارفٌ يقوى فجأة، شعورٌ بالفرح والشـــوق لأيام طيبة قادمة، تقوى فيها الروح، وتنشـــط فيها الأجســـام للعبادة، تجمع الأســـرة، وتكثر فيها مجالس العالم، وقراءة القرآن، وتعم الناس رغبةٌ بالتوبة ورجاءٌ بمغفرة من الله ورضوان؛ تسود مدن المســـلمين حالةٌ روحية، لا تخفى على كل من اعتاد الصـــيام، وارتيادَ المساجد، وانتقاءَ اطايب الطعام والكلام، في هذا الشهر المبارك. إنها روح الصوم وما أدراك ما روح الصوم.

شـيء من الإرادة في اليوم الأول ونية صـادقة بالصـيام ويهون بعدها كل شيء. فالذي فرض الصيام، ما فرضه إلا لما فيه من الخير، ولو كان فيه ضرر لما فرضه، يقول تعالى عن الصيام: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْـرَ }** [البقرة: 185]. وما فرضـه إلا ليسـتعيد الجسـد عافيته وليتخلص من سمومه، فقال: **{وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** [البقرة: 184].

للجسـد صـيامه، وللروح صـومها، والفلاح في اجتماع الصـومين معاً، فصيام الجسد في ثلاثة: ترك الطعام والشراب والشهوة، ويقول النبي

ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي، ..." [1].

لكن إذا لم يقترن صيام الجسد بصوم الروح فالخسارة مؤكدة، يقول النبي ﷺ: "رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ [وَالْعَطَشُ]" [2].

فكيف تصوم الروح إذن؟ أولاً، بعقد النية على الصوم وبالعزم على ذلك، وبعدم التراخي أمام اعذار النفس، بعجزها عن الصوم، وما أكثر هذه الأعذار. قال رسول الله ﷺ: "من صام رمضان إيماناً وإحتساباً غفر له ما تقدم له من ذنبه". [3]

روح الصوم ستضطلع بدور المقاومة طيلة الشهر، كي لا تضعف النفس، وكي تقوى إرادة الصائم على الصمود. ستجللُ الجسد، فتزجره تارة وتهوّن عليه تارة، وتمنّيه بأطايب الطعام والشراب عند غروب الشمس، وبسلامة المصير عند غروب الحياة.

روح الصوم ستبدأ بالبحث عن جليس صالح، يعين أو يواسي او يعلم، وستنهى عن الصحبة السابقة، خوفاً من أن تفوت فرصة المغفرة في هذا الشهر المبارك.

روح الصوم ستلجأ إلى القرآن في شهر القرآن، ولا بد أن تقع العين فيه على ما يسر أو يحذِّر أو يبشِّر. والقرآن خير أنيس وأفضل جليس.

---

[1] صحيح البخاري (9/ 143)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وتتمة الحديث: وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ.

[2] الإمام احمد عن ابن عمر.

[3] عن أبي هريرة متفق عليه.

اول ما تلهمه روح الصـــوم التوحيد، تنظر إلى الهلال فتتذكر الذين عبدوه، وعبدوا الشـــمس والكواكب، فتحمد الله على معرفة الله وعلى نعمة التوحيد، كان نبينا عليه الصلاة والسلام إذا رأى الهلال يقول: " اللهم اهلّه علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله". [1]

روح الصـوم لها عدو أسـاسـي في الانسـان، وهو النفس، غذاؤها الطعام والشراب، فخارها الأنا ودواؤها الجوع، تقاتل بشراسة، توهم صاحبها بأنه إذا جاع سيموت، وإذا عطش سيغمى عليه، لكن الذي خلقها شرع الصـوم ليقهرها تأديباً، وليس قتلاً ولا إذلالا، وما فرض الصـوم ليؤذيَها بل ليروضها وليعافي الجسد من السموم والدهون، فقال: **{وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** [البقرة: 184].

روح الصوم ستغتنم الفرصة، لتبعث في الجسم نشاطاً وحيوية؛ هل أتاكم خبر علاج طبي يدعى: الإلتهام الذاتي، (Autophagy) (أوتوفغي) يثبت أن الجوع يدفع بعض الخلايا إلى التحلل وإعادة تدوير مكوناتها الخلوية مما يؤدي إلى تنشيط جسم الانسان! قال عليه الصلاة والسلام: صوموا تصحوا. [2]

إذا جاعت النفس ضعف عنادها، وتفوقت عليها القوى الروحية الكامنة في الانسان، فمال إلى العبادات، فقرأ القرآن وصلى الفرائض، وزاد عليها

---

[1] (الترمذي) 3451 , (أحمد) 1397 , (ابن حبان) 888 , (الحاكم في المستدرك) 7767، عن طلحة بن عبيد الله.

[2] الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني (1/ 236)، عَن أَبِي هُرَيرة.

بصلاة القيام، وتحلى بالهدوء وتزين بالحلم. فالجوع نور والشبع نار والشهوة حطبها، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ ".[1] أي قبضه وحقده وغضبه وحسده.

روح الصوم تلهم صاحبها أن الله تعالى قد فرض عليك الصوم لينفعك لا ليشقيك، بدليل قول الله تعالى: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: 185] وبدليل قوله ﷺ: "من نسي وهو صائم فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه".[2]

روح الصوم تأتي إلى صاحبها تقول: توافرت لديك بضع ساعات ظهراً، كنت تصرفها في الطعام والهضم والنوم، فهل لك إلى أن تزور والديك؟ وتصل رحمك؟ وتعود احبابك؟ وتواسيَ فقيراً او يتيماً؟

روح الصوم تصبح روحاً مراقبةً رادعة، إذا همت النفس بشيء، تصدت لها وقالت لصاحبها إياك إياك أن تُضيع نفسُك ما أنجزنا، فلا تلتفت لها ولا تستجب، فلربما زلّت قدمك بإثم صغير أوصلك إلى خطيئة تطيح بصومك، وتخجلك بالموقف بين يدي ربك.

روح الصوم صارت مناخاً وادعاً، تفرض على صاحبها الحلمَ والهدوء، ليَشيع في البيت وفي العمل، فيقتبس منه الإبن والإبنة، والأخت

---

[1] النسائي والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

[2] (مسلم) 171 - (1155) , (البخاري) 1831 , (الترمذي) 721 , (أبو داود) 2398 , (أحمد) 9125، عن أبي هريرة.

والزوجة، والزميل والصاحب. وما غضبُ الصائم وحمقُه، إلا زلّةٌ منه وانقيادٌ لنفسه وتبعيةٌ لها. بينما كان عليه أن يزيد في النفقة على أهل بيته، وأن يضحيَ حتى تهدأ فورة غضبه، ويستعيدَ سيطرته على نفسه، فقد كان ﷺ جواداً (أي كريماُ) وأجود ما يكون في رمضان.[1]

روح الصوم توحي لصاحبها، أن ابحث عن جائع، وأشركه في طعامك، إما صدقةً وإما برّاً، قال نبينا عليه الصلاة والسلام: "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ. [2]

روح الصوم تعرف أن لدعوة الآخرين على الإفطار مكافأة روحية، قال رسول الله ﷺ: "من فطّر صائماً صافحه جبريل ليلة القدر، ومن صافحه جبريل رق قلبه وكثرت دموعه".[3]

روح الصوم تحبب إلى الصائم الخلوةَ مع القرآن، يقرأ ويعتبر، ويذكر ويستذكر، يعرض نفسه على القرآن ليرى إلى أي الناس هو أقرب: أمسلمون، أم مؤمنون، أم منافقون، أم كافرون، أم الرعاع الذين لا يعرفون ماذا يفعلون وبماذا يدينون.

لا يعرف معنى الصحوة، من لم يكن له من الليل ساعة، يقف فيها بين يدي ربه، يقرأ ويركع، ويسجد ويقعد، ويرفع يديه ويدعو، يناجي

---

[1] صحيح البخاري (4/ 113) عن ابن عباس.
[2] مسند أحمد ط الرسالة (28/ 261) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ
[3] مكارم الأخلاق للطبراني (ص: 366)، عن سلمان الفارسي.

تارة، ويستغيث تارة، يبكي على ما فات، ويرجو من الله ان يعينه على ما هو آت، ويسأل الله تعالى حسن الختام وحسن العاقبة.

روح الصوم تدفع العبد إلى التأمل، والتفكر في كل شيء، في أمور دينه، وفي شؤون دنياه، فترفع من سقف تفكيره، من القيل والقال، وسفاسف الأمور، ومن الكلام والجدال، إلى تغيير العادات واتخاذ القرارات المصيرية. والمراجعة ضرورية، قال ﷺ: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة، في أن يدع طعامه وشرابه".[1]

ولا بد من إعادة النظر بالأصحاب والجلساء والندماء، فلا مكان بعد التوبة لجليس السوء، ولا بد من جليس صالح، يعظ ويَرفق ويصحح.

كم له من صيامه، من أكل لحم أخيه غيبةً وبهتانا ؟ ومن قذف المؤمنات الغافلات ماذا حقق من شروط الصيام؟ ومن أتبع النظرة بنظرات؟ ومن اشتهى ما لا يحل له؟ ها قد حان وقت غض البصر وحفظ اللسان.

روح الصوم تذكّر المسلمين بعبادة تغافلوا عنها، ويا لها من عبادة، وكم لها من فائدة، إنها عبادة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان في المساجد، لو يجرب الصائم الاعتكاف ولو لليلة واحدة، لوجد فيها من الفوائد والعبر والمشاعر ما يعجز عن وصفه، أقلُّ ما فيها خلوةُ العبد

[1] البخاري وأحمد وابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة.

بربه وشعورُه بالحاجة إلى ربٍ يحضُنه ويؤويه، ويطعمه ويسقيه، يحبه ولا يجافيه.

روح الصوم تعصِم صاحبها، قال عليه الصلاة والسلام: "الصوم جنة".[1] درعٌ واقٍ في الدنيا من المعاصي، وعِصمة من عذاب النار يوم القيامة.

روح الصوم تقوي مراقبة العبد لربه، فالصيام أمانة، فهل يصوم أمام الناس وللناس، ثم يفطر إذا خلا؟ روح الصوم تخاطبه: لا تنسى أن الله ناظر إليك، مطلع عليك، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

شهر رمضان ليس شهر المسلسلات ولا السهرات ولا الفكاهات، إنه شهر النزهة الروحية بين الصيام والقيام وقراءة القرآن وارتياد المساجد وأعمال الخير والمواساة وصلة الأرحام وذكر الله تعالى وتسبيحه والصلاة على نبيه ﷺ.

يقول رسول الله ﷺ: " للصائم عند فِطره دعوة لا ترد"[2]؛ فلماذا لا ترد ؟ لأنها تصدر عن عبد جائعٍ ضعفت شهوته، واستكانت جوارحه، وهدأت نفسه، وصفا فكره، ورقّ حجاب قلبه، فسلِمت نيّته، وصدق في التوجه إلى الله تعالى بالدعاء، فبات يعني ما يقول، ويذعن ويخضع لعزة الله وقدرته، فاستجمع بذلك شروطَ القَبول، فجاءت الاستجابة

[1] رواه احمد عن أبي هريرة، والترمذي والنسائي وابن ماجه عن معاذ بن جبل، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة وفي الكبير وفي الشعب عن عثمان بن العاص وكعب بن عجرة.

[2] معجم ابن عساكر (1/ 307)، عن عبد الله ابن عمرو.

الفورية من الله السميع العليم. وأخذ العهد من الله أن يحفظ عليه طريق الهداية، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت: 69].

ختاماً: روح الصـــوم هي قوة إرادة الصـــائم في أمور دينه ودنياه، فلا يخضع لإغراء ولا ينثني عن طاعة، بعد أن ذاق معنى مراقبةِ الله، وعزةِ دين الله، وكرامةِ المؤمن على الله.

18- روح الحج

الحمد لله، جامعِ الناس ليوم لا ريب فيه؛ والصلاة والسلام على النبيِّ القائل: "إن الله فرض عليكم الحجَّ فحُجوا" [1]، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

روح الحج، هي رحلة الصدق في الطلب، طلبِ المغفرة من الله تعالى، رحلةُ محو الذنوب ومعالجة العيوب، وكشف الكروب.

روح الحج تعود بنا إلى استحضار أول تاريخ للانسانية على هذه الأرض، لما ناجى آدم عليه السلام ربَّنا سبحانه، مشتاقاً للطواف حول البيت المعمور في السماء السابعة، فأجيب: طف حول الكعبة، قيل أنه لما انتهى من الطواف، نادته الملائكة، أن بورك حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيتَ قبلَك بألفي عام.[2]

روح الحج تعود بنا إلى يومِ أمرَ الله تعالى سيدَنا إبراهيم، أن ينتقل بزوجته هاجر ورضيعِها إسماعيل عليهما السلام، من فلسطين إلى وادي مكةَ في بلاد الحجاز. فيضعهما عند البيت الحرام وحيدَيْن في أرضٍ قَفر، حيث لا مؤنسَ إلا الله، فتسألُه هاجر: (يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ

[1] صحيح مسلم (2/ 975)، ومسند أحمد عن أبي هريرة.
[2] من مرويات الرقائق.

لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ...)، [1] مناجياً ربه: **{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)}** [إبراهيم].

سؤالٌ طالما حيّر الناس، لماذا تَحنّ القلوب إلى تلك الديار والجواب كامن في دعاء إبراهيم ﷺ: **{فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم}**. إنها لا تحن فقط، إنها تهوي.

روح الحج، تطالبنا بأن نستعيد عند كل سعي، في عمرة أو حج، مشهدَ هذه الأم المجاهدةِ الصابرة، التي جُن جنونُها، وهي ترى وليدها الظمآن يبكي ويتلوّى، فتهرع إلى من جبل الصفا إلى جبل المروة، جيئة وذهاباً، تتمنى أن ترى قافلة قادمة، تحمل بعض الماء لتنقذ ابنها من موت محتم، ثم تستغيث وتبتهل إلى الله، فيرسل ربنا سبحانه رسوله جبريل، فيضرب الأرض بجناحه فتتصدع، وينساب الماء من الصدوع، عذباً رقراقاً، وإلى يومنا هذا، يروي الظمأ، ويطعم الجائع، ويشفي السقيم. قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن زَمْزَمَ : «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ , إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ وَشِفَاءُ سُقْمٍ»[2].

[1] صحيح البخاري (4/ 142)، عن ابن عباس.
[2] المعجم الصغير للطبراني (1/ 186) عَنْ أَبِي ذَرٍّ.

هاجر عليها السلام، مثال كل امرأة مجاهدة وأم صابرة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي، فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكِ؟ وَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي»[1] ".

روح الحج تنبهنا، بأن الفصل في الإقامة بين زوجتي إبراهيم سارة وهاجر عليهما السلام، لم يكن بسبب خلاف نشب بين ضرتين أو ولدين، كما يحلو لبعض الأحبار ان يصوروا الأمور بخفة وسخف، إنما تنبهنا إلى أمر جلل، بأن مشيئةً إلهية، قضت أن يضع أبو الأنبياء، إبراهيم، حجر الأساس لأمتين تتحدران من ولديه، إسحق وإسماعيل، على أن تَحِلّ الأمة الثانية، أمة محمد عليه الصلاة والسلام، مكان الأولى إذا تقاعست وتلكأت عن حمل رسالة التوحيد إلى العالم كلِّه، وهكذا كان.

روح الحج تُقرِؤنا في كتاب الله الكريم، كيف رأى ابراهيم مناماً ومنام الأنبياء حق، فجاء إلى مكة لتحقيقه، قال تعالى: **{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) }** [الصافات]. أي ولد هو إسماعيل؟ هذا الصادق البارُّ المطيع!

روح الحج تُفهِمنا هنا، أن المؤمن إذا نحر، فليتذكر ذلك الموقفَ المَهيب، الذي ترتجف عنده القلوبُ قبل الأيدي، حين وضع إبراهيم السكين، على رقَبة فتاه الوحيد، الذي أنجبه بعد أن بلغ من الكبر عتيا. وأن على

[1] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 162)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

المؤمن أن يضحي ويُكثِر، فلا يبخل، وليأكلْ وليطعم المساكين فداءً لأولاده ولأمواله وأرزاقه وعافيته.

روح الحج، تلهمنا أن نتذكر عندما نرمي الجمار، ان نقتدي بأبينا إبراهيم، حين عرض له الشيطان ينهاه عن تنفيذ أمر الله تعالى، ويسوِّل له أن الأمر لا يتعدى المنام، وأنه أضغاث أحلام، وأن على كل منّا أن يرجُم إذا حج، وأن لا يستهين بفرائض الله تعالى، ولا بأمره ونهيه، كلما ضعف امام مغرياتِ نفسه والشيطان.

وما أن يشبَّ إسماعيل، حتى يأمرَه الله وأباه، أن يعيدا بناء الكعبة المشرفة، وتدعونا روح الحج إلى النظر في هذا الصرح البهي المقدس، ونسأل الله تعالى: اللهم ربَّ محمدٍ وإبراهيم، والناسِ أجمعين، كما رزقتنا النظر إلى بيتك العظيم، لا تحرمنا من النظر إلى وجهك الكريم.

روح الحج تدعونا إلى ان نتخيل، ونحن نطوف بالبيت الله الحرام، كيف كان إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله، ويدعو لسيدنا محمد ﷺ وأمته، قال تعالى: **{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)}** [البقرة]. فصرنا في الصلاة الإبراهيمية، نصلي عليه ونبارك تكريماً وعرفاناً.

وكما كرّم ربنا سبحانه السيدة هاجر، بأن يسعى المسلمون في حجهم وعمرتهم كما سعت هي من قبل، أمرنا ربنا أن نصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين بعد كل طواف، لنتعلم من إبراهيم تبجيلَ البيتِ الحرام وصونَه وتهيئتَه للحجاج والمعتمرين إلى يوم الدين، فقال تعالى: **{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)}** [البقرة].

روح الحج تدعونا إلى استعادة المشهد، حين انتهى إبراهيم من البناء، فأمره الله تعالى أن ينادي بالحج، فعجِب إبراهيم كيف ينادي في هذا المكان القفر ومن سيسمعه، فقال الله تعالى: أذن يا إبراهيم، عليك الأذان وعلينا البلاغ،[1] فأوصل ربُّنا نداءَ إبراهيم إلى أصقاع الدنيا، وإلى أصلاب الرجال وأرحام النساء، إلى يوم الدين. وضمِن الله تعالى بأن يقصدَ المؤمنون هذا المكان المقدس أفواجا ملبّين: لبيك اللهم لبيك، من كل بلاد الأرض، قال تعالى: **{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }** [الحج: 27].

روح الحج تلهم الحجاج الواقفين في عرفاتِ بالملايين، أن يسرّحوا النظر في كل اتجاه، ويشهدوا هذا الجمعَ العظيم، بأنه ليس إلا مشهداً مصغّراً

[1] تفسير البغوي - إحياء التراث (3/ 334).

عن يوم القيامةِ لا ريب فيه، قال الله تعالى: **{قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50)}** [الواقعة].

هكذا نفهم لماذا افتتح الله تعالى سورة الحج بالمشهد التالي: بسم الله الرحمن الرحيم، **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)}** [الحج].

روح الحج تريدنا ان نعتبر من حلق الشعر أو تقصيره، في ختام المناسك، أنه إذا كان بين الناس علامةً على عتق السيد لعبيده، فإنه في الحج علامةُ عتقِ الله تعالى للحجاج من النار.

روح الحج، تدعو كل موحّد إلى اغتنام هذه الفرصة وقبل فوات الأوان، قال عليه الصلاة والسلام: "حجوا قبل أن لا تحجوا"[1]، فلعله يُحال بينه وبين الحج يوماً ما، بسبب المرض أو العجز أو الفقر او انقطاع الطرق، فليهجرِ الأهل والمال والعمل والولد، تلبيةً لأمر الله، وليقصدْ هذا البيتَ العظيم، وليجأر إلى الله عزّ وجل بالندم على ما فات وبالتوبة والاستغفار. وليستبشر بوعدِ الله تعالى بأنه سيرجع إلى أهله طاهراً نقياً كيوم ولدته أمه.

[1] السنن الكبرى للبيهقي (4/ 557) ، والدارقطني في سننه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

روح الحج تريدنا أن نعيش جميعنا حالةً واحدة من يوم آدم ويوم إبراهيم عليهما السلام إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها، كلنا بنو آدم، الدين واحد والمناسك واحدة والرب واحد.

روح الحج مدرسة للعزة والكرامة يجتمع فيها المسلمون من كل مكان، ليشهدوا منافع لهم وليذكروا الله تعالى وليروا بأم العين تدفق الحجيج كالينابيع الفوارة، وأن من استغنى عن الحج استغنى الله عنه واستبدله بالعشرات والمئات والألوف، وأن المؤمنين إخوة، وأن الله غالب على أمره.

19- ذكر الروح

الحمد لله رب العالمين القائل: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: 4]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ».[1]

إذا كان الجسد يتغذى بالطعام والشراب، والعقل يتغذى بالعلم والحكمة، والقلب يتغذى بالحب، فإن الأرواح تتغذى بذكر الله تعالى. هبطت من عنده سبحانه وكانت تأنس بذكره فلما حلّت في جسد ابن آدم أشغلها بما لا يليق بها، فغفلت عن أصلها، وصارت كجوهرة ثمينة، ما عرف أصحابها قيمتها، فتركوها مهملة يتلهى بها أطفالهم، أو كطائرة استخدموها في نقل الحطب. روح تعلقت بذكر الله، وعرفت منزلتها العليا، ثم سُجنت في جسم إنسان عاصٍ غافلٍ يرتكب الموبقات.

ذكر الروح هو الذي يُخرجها من سجنها، ويحلّق بها من جديد، فتستعيدُ الفضيلةَ تلو الفضيلة، وترتقي في المنازلِ منزلةً بعد منزلة؛ ذكر الروح هو الذي يجعلها تستعيد صلتها بربها، فتنجو وينجو معها صاحبها جسداً وقلباً وروحا.

[1] صحيح البخاري (8/ 86)، عن أبي موسى.

نقيضُ الذكرِ الغفلةُ والنسيان، وروح الذكر تحافظ على دوام الحضور مع الله، وعلى مراقبة الله في الأقوال والأعمال. والذكر درجات، أدناها ذكر اللسان، ثم ذكر التوحيد، ثم ذكر القلب ثم ذكر الروح.

فذكر اللسان، تستقيه روح الذكر من وصايا رسول الله ﷺ: ما ينبغي على العبد قوله، كيفما تقلب وتحرك، ومشى وجلس، والتقى وحاور، ولكل موقفٍ ذكرُه الخاص: إذا استيقظ قرأ آية من آيات التفكر في القرآن، وإذا دخل المرحاضَ استعاذ، وإذا خرجَ شكرَ واستغفر، وإذا توضأ ذكرَ بدعاءٍ لكل عضوٍ يُجري عليه الماء. إذا ارتدى ثيابه دعا، وإذا انتعل استعاذ، وإذا خرج من بيته سأل الله الثبات، وإذا خطا إلى المسجد ناجى، وإذا دخله صلى على النبيّ، وسأل اللهَ الرحمة، وإذا جلس في المسجدِ استغفر، وإذا انتهى من صلاته سبّح وهلل، وحمِد وشكر، وإذا خرج من المسجد صلى على نبيِّنا وسأل اللهَ من فضله. وإذا دخل السوق قال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير".[1] وإذا أكل

[1] عن سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، فَحَدَّثَنِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ. سنن الترمذي ت بشار (5/ 367).

سمَّى الله، وحمِده على نعمته، وكذلك إذا شرب. وإذا عاد إلى بيته سلّم وصلّى وشكر.

بذكر اللسان يُصان اللسان عن ألفاظ السوء التي لا يحب الله تعالى الجهر بها، ويُستعاض عن عبارات التأفف والتذمر بأدعية الرضى والتسليم للرزاق العليم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".[1]

وفائدة هذه الأذكار أنها تذكِّر الانسانَ بالله ذكرَ الحاجة مرة، وذكر المخيفة مرة، وذكر المراقبة مرة، وذكر الشكر مرة، وذكر التوكل مرة، فصار من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات؛ فسقطت عنه صفة النفاق كما قال الله تعالى: **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}** [النساء: 142].

ومن أدمن ذكر اللسان، وقر في رُوعه الإحساس الدائم بوجود الله، فتوكل عليه وصيّر أمره إليه. وصار بإمكانه ان يرتقي إلى ذكر التوحيد، قال تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**

[1] سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (4/ 708)، وأخرجه الترمذي (3671) من طريق زيد بن الحباب، بهذا الإسناد. وهو في "مسند أحمد" (17698)، و"صحيح ابن حبان" (814).

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: 19]. وأوله ترداده قول لا إله إلا الله لكن حقاً وصدقا، أي أن يشعر أنه إن قال لا إله، فإنما يُخرِج كل محبوباته وتعلقاته من قلبه، فإذا قال إلا الله، شعر كأنه يغرس اسمَ الله وحدَه في هذا القلب، أفرغه من الدنيا وأشغله بالله. فإذا تعود على ذلك صار القلب يهتز بلا إله إلا الله فقد تلقن هذه الجملة المقدسة، قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» [1].

هنا ينبغي أن يلهجَ لسان العبد بالتوحيد، ويدمنَ عليه، قال عليه الصلاة والسلام : سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله، قال: الذاكرون الله كثيرا". [2]

إلى أن يصبح المرء أهلاً لذكرِ القلب، ذكرِ الخيفة والخُفية، كما جاء في قول الله تعالى: **{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}** [الأعراف: 205]. فيبدأ ذكر التوحيد باللسان ثم يختفي الصوت ليحل محله شعور القلب بالتوحيد، فإذا تمكنت لا إله إلا الله من القلب، سقيت باسم الله الأعظم وهو الله الله ولا شيء غير الله هذه الكلمة التي لم تعد كلمة

[1] سنن ابن ماجه (2/ 1249) والترمذي والنسائي وابن حبان عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ
[2] رواه مسلم عن أبي هريرة.

بل صـــارت حياة القلب وغذاءه ونوره ودواءه، يقول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28].

وأما ذكر الروح فهو الذكر الذي يُشـــعِر العبدَ بالمعية والمراقبة معاً، لقول الله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِـــيرٌ} [الحديد: 4]. هو الذكر الذي يبدأ بالأذكار وينتهي بالأفكار، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)} [آل عمران]. ذكر الروح هو الذكر الذي نتيجته كما قال حارثة رضـــي الله عنه للنبي ﷺ: (عزفت نفســـي عن الدنيا واســـتوى عندي حجرها وذهبها، وكأني بعرش ربي بارزاً وكأني بأهل الجنة يتنعمون وبأهل النار يتعاوَوْن). فأجابه رســـول الله ﷺ: "عبدٌ نوّر الله قلبه، يا حارثة عرفت فالزم".[1] أي فالزم ذكر الله الذي أوصـــلك إلى هذه المرتبة الروحية العالية.

[1] «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ» ثَلَاثًا ، المعجم الكبير للطبراني (3/ 266).

إنه ذكر العِصمة والمناعة: قال النَّبيَّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ اللَّهَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ»[1].

إنها عبادة غابت عن كثير من المسلمين، حتى إن بعض الناس انكرها لعجزه عن بلوغها. والحقيقة أنها عبادة الإخلاص التي لا تتحقق إلا بمداومة ذكر الله ليس على حساب أداء بقية الفرائض والعبادات بل بالإكثار منها والزيادة عليها.

فعن أنس بن مالكٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : "لأن أقعُدَ مع قومٍ يذكرون الله من صلاةِ الغَدَاةِ حتَّى تطلعَ الشمسُ أحَبُّ إليَّ من أن أُعتقَ أربعةً من وَلَد إسماعيل، ولأن أقعُد مع قومٍ يذكرون الله من صلاةِ العصرِ إلى أن تغرُب الشمسُ أحبُّ إليَّ من أن أُعتِق أربعةً"[2] .

وكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه، مولعاً بذكر الله، قال أبو الدرداء: كَانَ ابْنُ رَوَاحَةَ يَأْخُذُ بِيَدِي، وَيَقُولُ: تَعَالَ نُؤْمِنْ سَاعَةً إِنَّ الْقَلْبَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلْيَاناً[3]. فَجَاءَ رجل إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَرَى إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ يُرَغِّبُ عَنْ إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانِ

[1] الدعاء للطبراني (ص: 521)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.
[2] سنن أبي داود ت الأرنؤوط (5/ 508)، وأخرجه الطبراني في "الدعاء" (1878) والبيهقي في "شعب الإيمان" (561) من طريقين عن موسى بن خلف.
[3] شرح السنة للبغوي (1/ 168).

سَاعَةٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " يَرْحَمُ اللهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا الْمَلَائِكَةُ "[1].

عجباً ! كل العبادات لها وقت مخصوص إلا ذكر الله فهو مباح ومتاح في كل زمان ومكان. في المنزل وفي العمل وفي السوق وفي الحج[2] وحتى في المعركة[3]. والآيات في ذلك كثيرة.

وروح الذكر هي روح كل العبادات، فإن غابت لم يبق من العبادة إلا أعمالُ الجسد. ودليل صحة الذكر هو المداومة عليه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهَا»[4].

ذكر الروح هو الذي يثبت العبد على طاعة الله، ويحجُب عن معصيته، ويولد المحبة، ويُشعِر بالصلة بالله، وبالقرب من الله، ويفتح باب مناجاته في كل حين، هو ذكر الامتنان والشكر والرضا، وهو ذكر الولاء لله ولدين الله، وذكر الارتباط بأهل الله، والاعتزاز بدين الله، إنه علامة الحياة والبعث في الفرد وفي الأمة.

---

[1] مسند أحمد ط الرسالة (21/ 309) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

[2] قال الله تعالى: {فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ... فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا (200)} [البقرة].

[3] يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) } [الأنفال].

[4] المعجم الكبير للطبراني (20/ 93)، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

20- روح الولاية

روح الولايةهي روحُ كلِّ من تولى دين الله، فتولاه الله بعنايته، وغشّاه برحمته وألهمه من معين حكمته وعلمه من لدنه علما.

من رحمة الله بهذه الأمة أنه لم يتركها تائهة ضائعة إثر فقدها لنبيها ﷺ، فانتصبت على الفور قامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ليوقظ الناس من صدمتهم: (أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ثم تلا: **{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}** [آل عمران: 144].[1]

وتستمر روح الولاية من زمن أبي بكر وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. خلّد التاريخ أسماء أعداد كبيرة من أولياء الله هؤلاء، وأغفل أسماءَ أعدادٍ أكثر. اشتهر منهم الحسن البصري وجعفر الصادق والجنيد وسري السقطي والكرخي وأبو يزيد البسطامي والشبلي وشاه نقشبند والشاذلي وسهل التستري وأبو العباس والخواص والشعراني وابن عطاء وابن عربي والحلاج والقشيري والسهروردي، والجرجاني وابن القيم، والقائمة تطول...

[1] صحيح البخاري (5/ 7).

روح الولاية، هي روح كلِّ وليّ انبرى لحمل مشعل الهداية وخدمة الدين كلٌ حسَب مقتضى عصره، روح الولاية، هي قبس من الروح المحمدية، هي روح جذبها حب محمد، وحب دين محمد، وحب رب محمد. هي روحٌ نضّاخة، تفعل فعلها في الأرواح، روح تُمِد روحَ الأمة بالهمة، وتبعث فيها الأمل والعمل.

روح الولاية لقّحتها روح رسول الله ﷺ، فتتبعت النهج المحمدي خطوةً خطوة، وشبراً شبرا؛ اقتدت بروح الحبيب الأعظم ﷺ، فابتعدت عن المزاجية والنفعية والعصبية والغرضية. وما عاد لها هدف إلا رضا الله وخدمةُ دين الله ودلالةُ عباد الله إلى الله.

أولياء الله هم الملهَمون الملهِمون الذين وقفوا خلف فتوحات الأمصار؛ منهم العز بن عبد السلام ملهِم المجاهدين في معركة عين جالوت التي انكسر فيها جيش المغول لأول مرة؛ وآق شمس الدين شيخ السلطان محمد فاتح القسطنطينية؛ وهم الدعاة الذين انتشروا في الأرض ففتح الله على أيديهم ما عجزت الجيوش عن فتحه، مثل سيف الدين الباخرزي الذي هدى قادة المغول إلى الإسلام؛ هم الذين ربَّوْا الأجيال على الهدى والنورِ والرشاد، هم الذين كافحوا الفِسقَ والفجورَ والفساد، ومنهم عبد الخالق الغجدواني والباقلاني؛ هم الذين بثوا روح المقاومةِ في وجه الغزاة، وعلى رأسهم عبد القادر الجيلاني وأبو علي الفارمدي ويوسف الهمداني الذين ربَّوْا أولاد النازحين فصاروا فيما بعد جند نور الدين وصلاح الدين؛ هم

الذين أضنَوْا أنفسهم لبعث الأمل في نفوس الناس مثلما فعل ابن تيمية إبان اجتياح المغول لدمشق؛ ومنهم من صحح العقيدة وأزال الشوائب وما علق فيها من خرافات مثل الأئمة الغزالي وأحمد الفاروقي السرهندي والنووي؛ والقائمة تطول...

روح الولاية تجمع العلم والروح، ومن اقطابها: أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل والأوزاعي والسيوطي، قال رسول الله ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"[1]. روح الولاية ترتفع بمرتبة أولياء الله إلى محاذاة بعض الأنبياء، وقال الإمام الشافعي: (إن لم يكن العلماء العاملون أولياء الله، فلا أعلم لله وليا).[2]

أخفى الله تعالى بعضهم في الناس ليحفظهم ولينشَطوا من غير مضايقة ولا ملاحقة، يعرفهم من يجلس إليهم، فتسكن نفسه ويطمئن قلبه، إذا نالوا شهرة فمن كثرة من يقتدي بهم ومن حمْلات الدسّ والتكفير والتحريض عليهم. فعجبٌ أمرهم إذ يدلّ عليهم الصالحون والمهتدون، وكذلك المعادون لهم والكارهون.

روح الولاية تنظّم سلك الأولياء بلا انتظام ولا تسمية، لكن لهم أسسٌ وترقية. فمنهم الأوتاد والأبدال والحفّاظ والمحدّثون والفقهاء والعلماء والمعلّمون والأئمة والعارفون بالله وهؤلاء أيضاً درجات فمربون ومرشدون.

---

[1] رواه الترمذي والبخاري وابن حبان وابن ماجه، عن أبي الدرداء.
[2] طبقات الشافعيين (ص: 32).

فالأوتاد هم أوتاد الأرض المنتشرون في الأحياء والدساكر، يُثبِّتون الدين فيها، ويَثبُتون إذا هبت رياح الفتنة والشر. قال النبيّ ﷺ عن حالتهم الروحية: «إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَاداً، الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ»[1].

وأرقى منهم الأبدال وقد قيل فيهم الكثير، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ، يَدْفَعُ اللهُ بِهِمْ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، يُقَالُ لَهُمُ الْأَبْدَالُ» ، وقَال: «إِنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوهَا بِصَلَاةٍ وَلَا بِصَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَبِمَ أَدْرَكُوهَا؟ قَالَ: «بِالسَّخَاءِ وَالنَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ»[2].

وسُمِع مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيّ , يَقُولُ: " مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ , اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ ارْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ. كُتِبَ مِنَ الْأَبْدَالِ "[3]. وفي ذلك دليل على غيرتهم على الأمة. وسُئِلَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: مَنِ الْأَبْدَالُ؟ قَالَ: أَهْلُ الْعِلْمِ [4].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "الْأَبْدَالُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثُونَ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ رَجُلًا ".[5]

---

[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مسند أحمد مخرجا (15/ ص 248 و249)، حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ مَوْقُوفٌ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ". وعن سعيد بن المسيب في شعب الإيمان (4/ 382).

[2] المعجم الكبير للطبراني (10/ 181)، عن ابن مسعود.

[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 366).

[4] المجالسة وجواهر العلم (2/ 182)

[5] مسند أحمد ط الرسالة (37/ 413)

قيل في الأبدال أن من جالسهم تبدلت حاله وأخلاقه وأفكاره، فسمت روحه ورقّت مشاعره. خاطب عوف بن مالك، رضي الله عنه، جند مصر فقَالَ: يَا أَهْلَ مِصْرَ أَنَا عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، لَا تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «فِيهِمُ الْأَبْدَالُ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ، وَبِهِمْ تُرْزَقُونَ»[1].

وأما العارفون بالله فهم أرقى أهل الأرض روحياً، تعلموا وتفقهوا وتأدبوا، وساروا على درب الأنبياء والرسل، ترفَّعوا عن الدنيا ومباهجها وعرفوا حقيقة الحقيقة فأخبتوا إلى ربهم، حتى أنهم زهِدوا بنعيم الآخرة ولم يلتفتوا إلى غير الله تعالى، سُئِلَ أَبُو يَزِيد البسطامي مَا عَلَامَةُ الْعَارِفِ؟ فَقَالَ: " {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} [النمل: 34][2]. أي أن اسم الله إذا دخل القلب أخرج كل الباطل منه ولم يبق للعارف شغل إلا بالله. فطار الطيش وطِيبُ العيش وشُغِلوا عن الناس برب الناس.

مؤونة العارفين بالله على الناس خفيفة، ومطالبهم من أنفسهم ثقيلة، لا يطالبون ولا يعاتبون، الناس منهم في راحة، وهم من أنفسهم في عناء، يصححون للناس عقيدتهم، ويزيلون عنها خرافاتهم وسيءَ عاداتهم، يُصلحون إذا أفسد الناس ويَحلَمون حين يغضب الناس.

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (18/ 65).

[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (10/ 37)

روح الولاية تظهر في الصلاة وفي الذكر خلف أولياء الله، تزيل شواغل النفس وقلق التنافس على الدنيا، روح الولاية تذكر بالله وبالرحم. تشوّق الناس لأداء الطاعات. تبعث في القلب لذةً وراحةً وشوقاً وقربا.

أولياء الله هم الذاكرون الله كثيراً والذاكرات، هم الذين انكفأوا إلى بيوت الله وإلى بيوتهم، هم الذين زكت نفوسهم فصار بمقدورهم تزكيةُ الطالبين، ومناداةُ المعرضين، وتنبيهُ الغافلين وجذبُ ذوي النفوس الأبية والإرادات القوية، فيؤهلوهم لحمل الرسالة وإنقاذ الغرقى والهلكى، ومنهم يختارون من يَخلُفهم ويُكمِل رسالتهم ومسيرتهم.

روح الولاية تجعلنا نعرف أولياء الله حين نجالسهم، نرتاح إليهم ثم نتردد عليهم ثم نشعر بالتغيير فتتبدل العادات السيئة بالأخلاق الحميدة والمزايا الفاضلة، وترتقي الأهداف وتنشط الهمة وتسمو الغايات. إلى أن يصبح من يجالسهم بإخلاص وتداً من أوتاد الحيِّ أو البلدة. هنيئاً لمن تعرّف على أحدهم فهو أصلحُ جليس وألطفُ أنيس، يحبب بالله وبرسوله، هو حامل المسك كما شبهه رسول الله ﷺ فإما أن ينالك من طيبه أو تبتاع منه أو يحذيك.[1]

في مجالسهم تطرَب الملائكة لذكر الله، فتحفّ الذاكرين بأجنحتها، تتنزّل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة، يَعلَم من يخرج من مجلسهم أنه كان يرتع في رياض الجنةِ وأن روحه كانت تحلق في السماوات العلى.

[1] (البخاري) 5214 , (مسلم) 146 - (2628)، عن أنس.

هلك بعضهم تحت التعذيب، يصبرون على الأذى، ويتأسّون بعذابات الأنبياء والرسل، لا يرون في الجوع بأساً، ولا في الفقر عبئا، إن رأوا عيباً ستروه، وإن رأوا فضيلة نشروها وشجعوا عليها. حين ينعم الناس ينسون أولياء الله، وحين يخافون أو يضطربون يلجأون إليهم، يعرفونهم كما يعرفون أبناءهم. فالجحود والنكران صفتان شائعتان، إلا ما رحم ربي، أما أهل الغفلة والضلال فلا يعترفون بفضلهم إلا بعد رحيلهم، إذ ارتاحوا منهم بعد ان أصبحوا تحت التراب، ولم يعد بوسعهم أن يذكّروهم بالطاعات أو أن يضيّقوا عليهم البحبوحةَ والغَيَّ والترفَ والضلالةَ وأكلَ الحرام.

روح الولاية تنعم بالحماية لها ولمن يلوذ بها، حتى تبلغ الرسالة مأمنها، يقول الله تعالى: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** [يونس: 62]، وهي تحت الرقابة الإلهية المشددة، تراقب أداء الأولياء ومن يواليهم وحتى من يعاديهم. يقول تعالى: **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28) }** [الجن].

لفراقهم حُرقة، ولغيابهم أثر لا يمحى، كانوا يقولون فيهم: «مَوْتُ الْعَالِمِ ثُلْمَةٌ فِي الْإِسْلَامِ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ».[1]

روح الولاية لا تعرف الخمول ولا الركون، تنشط حيث الخلل، بلا كلل ولا ملل، تستمد عزيمتها من القوة الإلهية التي لا تنضب، عزاؤها في النهار أن ترى هارباً رجع إلى ربه وغافلاً عاد إلى رشده، وفرحها في الليل أنها تأنس بالقرب، وتبكي من الشوق، وتنتشي بالذكر .

روح الولاية لها ميزة وعلامة، ميزتها كثرة نقادها وحسادها في حياتها، وانكشاف حقيقتها الناصعة للناس بعد انتقالها، حين لا ينفع الندم، وأما علامتها فهي بقاء أثرها وتفاعله وتكاثره بعد الموت، فروح الولاية تصبح بعد الانتقال أكثر إشرافاً وإشراقا، قال ابن القيم: (فإن تجرد الروح في البرزخ أكمل وأقوى).[2]

في الختام لا يظنن أحدٌ أن أولياء الله قد انقرضوا وأصبحوا من التاريخ، فهم يتعاقبون ولا يخلو عصر من بعضهم، وهم ملاذ الأمة وباب نصرها وفتحها، لكن هل يبذل الناس جهداً في البحث عنهم؟ هنيئاً لمن تعلّم كيف يجدهم فإذا وجدهم لم يزهد بهم بل لَزِمَهم واقتدى، واهتدى بهديهم، وعمل بتوجيههم.

---

[1] سنن الدارمي (1/ 351) وإسناده صحيح عن الحسن البصري. مسند البزار = البحر الزخار (18/ 185). وعن عائشة مرفوعاً: "موت العالم ثلمة في الإسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار".

[2] الروح لابن القيم، ص79.

21- روح التضحية

اسمى الأرواح هي روح التضحية والفداء، التضحيةِ بكل غالٍ ونفيس، في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله والدفاع عن أمةِ لا إله إلا الله.

ما الذي يحوّل المرءَ الأنانيَّ الجشع إلى إنسان يتفطر حباً ورحمة، ويندفع بلا تردد فيبذل المالَ أو الولدَ أو الروح، ويتمنى لو يملك أكثر فيعطي أكثر، ولو أن له روحاً ثانية فيبذلها في سبيل الله!

إنه الإيمان بالله والتصديق بما جاء به رسول الله ﷺ، إنه حب الله.

تبدأ روح التضحية بتخصيص بعض الوقت والجهد والبر في سبيل الله، من طعام وبعض المال، فعن ابْن الْخَصَاصِيَةِ، رضي الله عنه، قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِأُبَايِعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ: "تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَتُصَلِّي الْخَمْسَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، وَتُجاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ "، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَّا اثْنَتَانِ فَلَا أُطِيقُهُمَا، أَمَّا الزَّكَاةُ فَمَا لِي إِلَّا عَشْرُ ذَوْدٍ هُنَّ رُسُلُ أَهْلِي، وَحَمُولَتُهُمْ، وَأَمَّا الْجِهَادُ فَيَزْعُمونَ أَنَّهُ مَنْ وَلَّى فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، فَأَخَافُ إِذَا حَضَرَنِي قِتَالٌ، كَرِهْتُ الْمَوْتَ، وَجَشِعَتْ نَفْسِي، قَالَ: فَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ حَرَّكَهَا، ثُمَّ قَالَ: " لَا صَدَقَةَ، وَلَا جِهَادَ

فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ " قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُبَايِعُكَ، فَبَايَعَنِي عَلَيْهِنَّ كُلِّهِنَّ". [1]

روح التضحية تحض على التضحية وتنذر المتقاعسين، فعن أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ، فَلَمْ أَتَقَارَّ أَنْ قُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، (أي أنفق مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ)، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ، وَلَا بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ، وَأَسْمَنَهُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا، عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ» [2]

روح التضحية تعالج شح النفس وتذيق العبد لذة ما بذل، فإذا اشتاق إلى المزيد سارع إلى بذل المزيد. فيرتقي إلى الإيثار وهي أن يحرِمَ نفسه ليعطيَ غيره، مصداقاً لقول الله تعالى: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}** [الحشر: 9].

روح التضحية مرهونة بمقدار الحب، وامتحانها الانفاق مما نحب؛ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ، رضي الله عنه، أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ

[1] المعجم الأوسط (2/ 28)، والكبير للطبراني، وشعب الإيمان للبيهقي، عَنْ بَشِير ابْنِ الْخَصَاصِيَةِ السَّدُوسِيِّ
[2] صحيح مسلم (2/ 686) عَنْ أَبِي ذَرٍّ.

أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ (وهي بستان من نخل وارفِ الظلال)، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: **{لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}** [آل عمران: 92] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ [1].

روح التضحية تجعل المؤمن يفاضل بين ما سيقدمه لآخرته وبين ما سيتركه لوارثيه: هكذا علّم رسول الله ﷺ أصحابَه، قال عليه الصلاة والسلام: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ» [2]

روح التضحية بالمال والنفس والولد، ليست بالأمر السهل، ولا يصل إلى مرتبتها إلا من بلغ اليقين في إيمانه، عرف ما ينتظره، فهان عليه ما

[1] صحيح البخاري (2/ 120) عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
[2] صحيح البخاري (8/ 93) عن عبد الله ابن مسعود

يبذله. ففي الظروف الحرجة قدم الصحابة بعض اموالهم، إلا أبو بكر، قدّم كلَّ ما يملك، فقال رسول الله ﷺ: "مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ"، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: (هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ).[1]

روح التضحية تصنّف المؤمنين بمقدار تضحياتهم، أبالمال أم بالعافية أم بالولد أم بالنفس؟ قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ»[2].

روح التضحية تُظهِر مدى تعلقِ المؤمن بدينه، لدرجة الرضا بتقديم أعز الناس قرباناً لله تعالى؛ هكذا كان موقف نساء المسلمين بعد غزوة أحد، فبعد انتهاء المعركة جاءت نسوة من المسلمين إلى أرض المعركة يتفقدن ذويهن، ممن قاتل مع رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: فإذا بعير قد أقبل عليه امرأة بين وسقين (أي بين حملين)، قالت فدنونا منها فإذا هي هند امرأةُ عمرو بن الجَموح، فقلنا لها: ما الخبر؟ قالت دفع الله عن رسول الله ﷺ، واتخذ من المؤمنين شهداء، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا، ثم قالت لبعيرها حِلّ، ثم نزلت فقلنا لها ما هذا؟ (تقصد

[1] صحيح ابن حبان - مخرجا (15/ 274)، السنن الكبرى للنسائي (7/ 296)، سنن ابن ماجه (1/ 36)، مسند أحمد مخرجا (12/ 414)، عن أبي هريرة.

[2] صحيح البخاري (4/ 22) عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحملين)، قالت أخي وزوجي.[1] لله درّها من مجاهدة، فقدت أعز عزيزين وبقيت متماسكة.

وجاءت أم سعد بن معاذ سيد الأوس تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه وسعد آخذ بلجامها فقال سعد: يا رسول الله أمي فقال ﷺ: مرحباً بها فوقف لها فدنت منه فتأملته فعزّاها بابنها عمرو بن معاذ فقالت :أما إذ رأيتك سالماً فقد اشتويت المصيبة (أي استقللتها). فقال يا أم سعد أبشري وبشّري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً وقد شُفّعوا في أهلهم جميعاً فقالت : رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا! ثم قالت: يا رسول الله أدع لمن خلَفوا، قال: اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسِن الخلَف على من خلَفوا".[2]

وكان مصعب ابن عمير، رضي الله عنه، قد ثبت لما انهزم المسلمون في أحد يقاتل دفاعاً عن رسول الله، ولما أشيع خبر مقتل النبي صار يردد: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ولم تكن هذه الآية قد نزلت بعد على قلب رسول الله ﷺ،[3] ثم استشهد مصعب. فمن أين جاءت روحه بهذه الآية التي لم تكن قد نزلت بعد!.

روح التضحية تمنح المؤمن قوة لا تنثني وتدفعه إلى التفاني، فلا تعب ولا تراجع. هذا أبو طلحة الأنصاري يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد

---

[1] السيرة النبوية لابن كثير (3/ 83)، عن عائشة.
[2] الرحيق المختوم (ص: 257) للمباركفوري، مغازي الواقدي (1/ 316).
[3] الخصائص الكبرى (1/ 356) للسيوطي.

والنبي ﷺ خلفه فإذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: إني جَلد يا رسول الله، فوجهني في حوائجك ومرني بما شئت.[1]

روح التضحية ليست حماساً بلا وعي، ولا انجرافاً بلا إدراك، إنها فداءٌ لدعوة تتعرض للخطر ولا بد من بذل أغلى ما وُجِد لصونها وتأمين بقائها واستمرارها. هذا طلحة بن عبيد الله المهاجر القرشي، يصد المهاجمين المشركين عن رسول الله، فرمي بسهم في يده فيبست يده، واستمر هو وسهل بن حنيف، يغطيان انكفاء النبي وأصحابه حتى بلغوا الجبل، وأعجزت الجراحات رسول الله ﷺ عن ارتقاء الصخرة فنزل طلحة تحته ورفعه حتى استوى عليها. فقال رسول الله: أوجب طلحة؛ ثم هرع أبو بكر وأبو عبيدة لنجدة النبي ﷺ فقال: عليكما بصاحبكما يريد طلحة، فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة وإذا قد قطعت إصبعه،[2] فصار عدد من الصحابة يضمدون جراحه ويصلحون من شأنه.

---

[1] السيرة النبوية لابن كثير (3/ 53).

[2] (الترمذي) 1692، (أحمد) 1417، مختصر الشمائل: 89. السيرة النبوية لابن كثير (3/ 59).

روح التضحية، جعلت الأنصار يتفانون في الدفاع عن النبي وعن شرف المسلمين، لَّما نالهم كعب بن الأشرف ابن اليهودية بأقذع الأوصاف، قال النَّبِيّ ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأَتَاهُ، وهو في حصنه المنيع فَلَمْ يَزَلْ محمد بن مسلمة يُكَلِّمُ كعب بن الأشرف ويتودد إليه حَتَّى اسْتَمْكَنَ مِنْهُ فَقَتَلَهُ وهو في عقر داره وبين قومه.[1] إنها روح الفداء.

وفي غزوة بدر خرج رسول الله من عريشه إلى الناس فحرضهم: "والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتَل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام رضي الله عنه، وبيده تمرات يأكلهن: بخٍ بخٍ ما بيني وبين أن ادخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، والله إن بقيت حتى ألوكَهن إنها لحياةٌ طويلة. ثم قذف التمرات من يده وقاتل حتى قتل.[2]

روح التضحية هي روح الحب والإخلاص: فحين صار الصحابي خبيب بن عدي الأنصاري في قبضة مشركي قريش بِمَكَّةَ، وقَدْ بَضَعَتْ قُرَيْشٌ لَحْمَهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ عَلَى جَذْعَةٍ، فَقَالُوا: أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ؟ فَقَالَ:

[1] صحيح البخاري (4/ 64)،عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
[2] مسند أحمد ط الرسالة (19/ 390) عن أنس. وصحيح مسلم (3/ 1510). عن البراء.

وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَأَنَّ مُحَمَّدًا شِيكَ بشَوْكَةً، ثُمَّ نَادَى: يَا مُحَمَّدُ وأسلم الروح.[1]

روح التضحية لا تعني تهوراً، ولا استفزازاً، إنما عن عقلٍ واعتبار، وحبٍ وقرار: في غزوة مؤتة، يُقتل القائد الأول زيد بن حارثة، ويأخذُ الرايةَ جعفرُ بنُ أبي طالب فيُقتل، فيأخذ الراية عبد الله إبن رواحة، فيتردد لما يراه من الموت المحتّم، وإذ به يخاطب نفسه إقناعاً وتشجيعا وتحذيرا:

أقسمتُ باللَّهِ لتنزلُنّه ... طائعةً أو لتكرهُنّه

ما لي أراك تكرهين الجنه ... وقبلَ ذا مَا كنتِ مطمئنه

إن أجلبَ الناسُ وشدوا الرَّنه ... هل أنتِ إلا نطفةٌ فِي شَنَّه

ثم خاطب نفسه ثانية أن اقتدي بالقائدين اللذين استشهدا، فقال:

يَا نفس إن لم تقتلي تموتي ... هذا حِمام الموت قد صُليتِ

وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

فتقدم وثبت وقاتل حتى قتل[2]. رضي الله عنه.

روح التضحية ضمانتها قول الله تعالى: **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**

[1] المعجم الكبير للطبراني (5/ 259)، عن عروة، وحلية الأولياء (1/ 246)، عن سعيد بن عامر.
[2] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 899).

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170)} [آل عمران].

روح التضحية وعدها: غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

روح التضحية سبيلُها قولُ الله تعالى: **{وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)}** [محمد].

روح التضحية مآلها إلى إحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة، قال الله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)}** [المجادلة].

روح التضحية تنادي: أيها الناس" لَا صَدَقَةَ، وَلَا جِهَادَ فَبِمَ ندْخُلُ الْجَنَّةَ؟

22- تلقين الروح

الروح المعلِّمة والروح المتعلّمة

ما هي روح التلقين؟ هي روحٌ معلِّمة تلقّن الروحَ المتعلِّمة، فالأرواح درجات، ولا ركون لها بل هي في ارتقاء مستمر، يلقن بعضها بعضا، ويلقح بعضها بعضا، إذا اجتمعت مع الأجساد كان التعليم تلقينا، وإذا غابت الأجساد كان التعليم تلقيحا، اي بالتلقي عن بعد.

وكما أن للنفس تعلقاً بأهواءٍ تحجُبها عن الارتقاء، فإن لكلٍ من العقل والقلب تعلّقهما وللروح كذلك متعلقاتُها. فقد ترتاح إلى ما تحقق لها من فيوضات وفتوح، فتركَن وتكتفي، فتنكفيء عن متابعة الارتقاء.

ولا تزول المتعلقات عن الروح إلا إذا تلقت عن روح أرقى منها، فأخذت عنها واتعظت منها فصححت وقوّمت، يقول الله تعالى: {... **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** } [يوسف: 76].

والمثال على ذلك، ما جرى بين "خضر"،[1] العبد الصالح، وبين سيدنا موسى عليهما السلام، كما جاء في سورة الكهف:

عن هذه القصة، قال سيدنا محمد ﷺ: " قَامَ مُوسَى النَّبِىُّ خَطِيبًا فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَىُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ. فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِى بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ

[1] صحيح البخاري (9/ 140).عن أبي بن كعب الأنصاري: " بَيْنَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ فَقَالَ مُوسَى: لاَ، فَأُوحِيَ إِلَى مُوسَى، بَلَى **عَبْدُنَا خَضِرٌ**، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً،...".

هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا (أي سمكةً) فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ،..."[1].

إذن موسى، وهو نبيُّ الله ورسولُه، وهو أعلمُ أهل الأرض بالعلوم الشرعية، كان عليه أن يتابع التحصيل من علم يجهله، ذلك هو العلم الروحي وعليه أن يأخذه عمّن خصّه الله بهذا العلم.

فالروح المعلِّمة هي التي ستقوم بتلقين الروح المتعلمة بعض الأسس، وستقومان معاً بتطبيق هذه الأسس تدليلاً على أرض الواقع.

أول هذه الأسس أن العلم لا يتوقف، ومن توقف عن التحصيل توقف عن الارتقاء وسمح لغيره بتجاوزه ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان. وقد نجح سيدنا موسى بإثبات إصراره على طلب العلم مهما بلغ الثمن حين قال لفتاه، **{لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}** [الكهف: 60].

ثاني هذه الأسس: أن لا علمَ بدون معلم، وأنه يجب بذلُ كلِّ الجهود للبحث عنه، وللجلوس بين يديه، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتٍ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»[2]، قال الإمام مالك للبرمكي،رسول هارون الرشيد، جاء يستدعيه ليُسمِعَ الخليفة الموطأ: (أقرئه السَّلَام وَقل لَهُ: إِن الْعلم يزار وَلَا

[1] صحيح البخاري (1/ 35)، صحيح مسلم (4/ 1847)، عن ابن عباس عن أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ.

[2] (البيهقي في شعب الإيمان) 1696 , (الترمذي) 3536 , (السنن الصغرى للنسائي) 158 , (أبو داود) 3641 , (ابن حبان) 1319

يزور وَإِن الْعلم يُؤْتى وَلَا يَأْتِي).[1] فنجح موسى عليه السلام أيضاً حين تأدب بين يدي المعلم واستأذنه في الصحبة وبيّن هدفه السامي من هذه الصحبة قائلاً: **{... هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}** [الكهف: 66].

ثالث الأسس: أن الروح المعلِّمة، تقسو أحياناً على الروح المتعلمة، قال العبد الصالح: **{ إنك لن تستطيع معي صبرا}**، فلم يقصد هنا التشفي ولا التكبر، بل تهيباً وتوقيراً للعلم وللمعلم، والعلم جوهر مكنون، لا تهاون فيه ولا هزل، ثم تنزل الروح المعلِّمة إلى مستوى الروح المتعلمة تواضعاً وحناناً واستيعابا، فيقول: **{وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}** [الكهف: 68]. ويتبسط العبد الصالح بالشرح فيقول: (يا موسى، إني على علم من علم الله ، علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علّمَكَهُ لا أعلمُه).[2]

رابع الأسس: خضوع الروح المتعلمة للروح المعلِّمة إذ لا يمكن للمعترض ولا للمتعالي أن يحصّل شيئاً من العلم. قال موسى: **{سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا}** [الكهف: 69].

ثم بدأ التعليم والتدليل: إستقلّا مركباً في البحر، فوقف على حافته عصفور، نقر في الماء نقرة أو نقرتين، فقال العبد الصالح: يا موسى: ما

---

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (2/ 640) للسيوطي.

[2] صحيح البخاري (1/ 35)، صحيح مسلم (4/ 1847)، عن ابن عباس عن أُبَيّ بْن كَعْبٍ

نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، [1] فالدرس الأول جاء مثلَ قول الله تعالى: **{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا }** [الكهف: 109]. كما قال جلّ وعلا: **{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [لقمان: 27].

كان الدرس الأول بمثابة تمهيد ليظهرَ بعدَه أثرُ العلم اللدني الذي وهبه الله تعالى للعبد الصالح، وتتالت بعد ذلك دروس التلقين مع توالي اعتراضات سيدنا موسى، فيخرق العبد الصالح السفينة لترسوَ على الشاطيء بصعوبة، ثم يقتل غلاماً يُكثِر من أذية غلمان يلعبون، ثم يسألان أهل قرية طعاماً فيأبَون ويبخلون، ثم يجدان جداراً يتهاوى، فيقوم العبد الصالح بترميمه وحده دون مساعدة من موسى.

ومع اعتراض موسى للمرة الثالثة يضع العبد الصالح حداً للقاء قال سيدنا محمد ﷺ: " يرحم الله موسى، لوددنا لو صبر حتى يقصّ علينا من أمرهما". [2]

ويكشف العبد الصالح لسيدنا موسى ما خفي عليه مما جرى:

[1] صحيح البخاري (1/ 35)،عن ابن عباس عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ

[2] صحيح البخاري (1/ 36).

فما الحكمة من حادثة السفينة؟ قال العبد الصالح: **{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}** [الكهف: 79]. عمل عقلاني نُفِّذ بحكمة، يراه الناظر لأول وهلةٍ سوءاً، وهو يخفي مصلحةً وخيراً لأصحاب السفينة الفقراء.

وماذا تُخفي قصةُ قتلِ الغلام؟ قال العبد الصالح: **{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81)}** [الكهف]. هنا جابت الروح المعلَّمة في المقبل، وبإذن ربها طبعاً، فوجدت أن الغلام إذا عاش سيرغم أبويه على الكفر وسيؤذيهما، وأن الحكمة الإلهية قضت بأن يرزقهما ربهما بنتاً واصلة للرحم، أكثر حناناً وبراً بأبويها، خاصة عندما يبلغان سن الكبر والعجز. وبما أن الغلام قد قضى قبل سن البلوغ فهو أيضاً من أهل الجنة، فكان مصير العائلة بأكملها إلى الجنة. قال الله تعالى: **{فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}** [النساء: 19].

وعن حادثة ترميم الجدار قال العبد الصالح: **{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ}** [الكهف: 82]. خرقت روح العبد الصالح في هذه القضية جدار الماضي، فجالت فيه جولتين عرفت في الأولى أن كنزاً في القرية قد دفن تحت الجدار الذي يملكه اليتيمان، وعرفت في الجولة الثانية أنه كان للأيتام جدٌ صالح، كان

يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها وكان كثير الدعاء لذريته، ومن أوفى بعهده من الله تعالى؟ وإذ لم يُظهِر أهل القرية مروءة ولا شهامة برفضهم إطعامَ أبناءِ السبيل، قام العبد الصالح بتنفيذ أمر الله تعالى فصان الجدار وعمّى بذلك على الكنز.

لم يتوقف تلقين الروح للروح عند هذا الحد، والعبر تترى وتتوالى، قال العبد الصالح: **{وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}** [الكهف: 82]. فالعبرة الأولى أن هذا العلم علم رباني، لا يشبه العلوم الأخرى ولا يُطلَع عليه إلا من كانت له روح تخلت عن الدنيا الفانية وعن الآخرة الزاهرة ورغبت بالله وحده. والعبرة الثانية أن من أكسبه الله علماً، ينبغي له أن ينسب الفضل لله تعالى لا لنفسه ولا لسواه.

والعبرة الثالثة، أن العبد الصالح قال في حادثة السفينة فأردت، وفي حادثة الغلام قال: فأردنا وفي قصة الجدار قال: فأراد ربك، فما سر تغيير الصيغة بين متكلم ومثنى وغائب؟

حين قال فأردت أن أعيبها، عنى أن الأمر لا يعدو حكمةً قد تتناهى إلى أي رجل عاقل حكيم ذي تجرِبة. وحين قال العبد الصالح فأردنا أن يبدلهما ربهما، قصد أن المشيئة إلهية، وأن قضاءها جرى على يده هو. وحين قال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما أفهمنا أن الغيب بيد الله يتصرف به كما يشاء وأن العبد الصالح فعل الممكن والباقي على الله.

والعبرة الرابعة، لماذا قال لموسى بدايةً: **{قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67)}**، وكذلك بعد الجولة الأولى: **{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72)}**، لكنه قال له بعد الجولة الثانية **{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75)}**. أدخل كلمة "لك" لاذعة ومتعمّدة، وما قيلت إلا بعد أن مضى على التعليم وقت، وصار بإمكان المعلم أن يقسوَ على من يراد به خيرا. تماماً كما حصل لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ وَقَالَ: " أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، (أي مترددون) وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي "[1].

والعبرة الخامسة، ما السر في إخفاء حرف التاء في كلمة تسطع في قوله تعالى: **{ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}** [الكهف: 82]، فالإيجاز قد يعني أنه لم يعد للتفصيل ضرورة فقد تعلم موسى عليه السلام. وقد يعني أن موسى قد استعجل في الاستفهام ودليل ذلك يأتي في السورة ذاتها بعد ذلك في قصة ذي القرنين في قوله تعالى: **{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا }** [الكهف: 97]. دليل تسرع يأجوج ومأجوج في محاولتهم تسلقَ السد.

[1] أحمد (23/ 349)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ.

وأما العبرة الأخيرة فهي أن الله تعالى لا يريد لعباده إلا الخير، ولئن ظهر للناس شيء من السوء فلعل الله تعالى قد جعل فيه وبعده خيراً كثيرا، فكان مما يتذاكره العبد الصالح مع الخضر عليهما السلام الدعاء التالي: (بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله. بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله).[1]

ختاماً، الروح المعلِّمة تلقح روحَ من اتبعها بالحكمة والرُّشد والنور، بالحكمة كما فعل العبد الصالح بالسفينة؛ والرُّشد كما تصرف في شأن الغلام؛ والنور كما كُشِف له بعضُ الماضي والمستقبل في قصة الجدار. الروح المعلِّمة لا تبخل على العطاش بالسقيا، لكنها لا تكشف حالها لمن ليس له روح، ولا تعرض بضاعتها على من ليس لذلك أهلا.

الروح المعلّمة تلقن عن قرب وتلقح عن بعد، ولن يكشفَ صاحبَ الروح المعلَّمة المعلِّمة، إلا صاحبُ روحٍ عطشى، روحٍ إذا سمعت، أو أبصرت، أو شمّت، انتشت وتعرفت، فانجذبت فاستأذنت، فقُرِّبت، فتلقحت، فارتقت. ومن ذاق عرف.

[1] رواه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عباس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

23- تلقيح الروح

ما معنى الروح الأويسية؟ إذا عجزت عن اللقاء الأجساد، تتزود الأرواح وتزداد، فترسل الروح القوية إمدادها عن بعد، وتستوفي الروح الضعيفة حقها من التربية بالتلقيح كاملاً غير منقوص، ولربما فاقت الأرواح والنفوس التي انشغلت عن التحصيل بالقال والقيل. والمثال على تلقيح الروح عن بعد هو التابعي الجليل سيدنا أويس القرَني رحمه الله.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ»[1].

هو أويس بلدته من بني قَرَن، مكان ميقات أهل اليمن إلى الحج؛ تابعي من أكبر الزهاد، الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ خَلْقِهِ الأَصْفِيَاءَ الشعثة رؤوسهم الْمُغْبَرَّةَ وُجُوهِهِمْ الْخَمِصَةَ بُطُونِهِمْ مِنْ كسب الحلال. الذين إِذَا اسْتَأْذَنُوا عَلَى الأُمَرَاءِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ وَإِنْ خَطَبُوا الْمُتَنَعِّمَاتِ لَمْ يُنْكَحُوا وَإِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَإِنْ طَلَعُوا لَمْ يُفْرَحْ بِطَلْعَتِهِمْ وَإِنْ مَرِضُوا لَمْ يُعَادُوا وَإِنْ مَاتُوا لَمْ يُشْهَدُوا". [2]

[1] صحيح مسلم (4/ 1968)، عن عمر بن الخطاب(2542) وعن أسير بن جابر.
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (2/ 81)، عن أبي هريرة.

عرف بالفقير الصابر، لم يجتمع برسول الله ﷺ، لكن له روح جاذبة ناجت روح رسول الله ﷺ فاخبرته خبرها وتلقت حصتها واقتبست من نورها.

فقير حبسه عذر خدمته لأمه حتى توفيت وعذر مرضه إذ كان به برص، فانحسر عنه البرص ببركة رسول الله ﷺ إلا في موضع يحجبه رداؤه.[1] انشغل بالعبادة واجتنب الاختلاط بالناس، حتى ظن أهله أنه مجنون فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجها كان طعامه مما يلقط من النوى فإذا أمسى باعه لإفطاره وإن أصاب حشفة خبأها لإفطاره.[2]

جاء في الخبر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: أَلا وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ لِلْعِبَادِ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ وَيُقَالُ لأُوَيْسٍ قِفْ فَاشْفَعْ فَيُشَفِّعُهُ اللَّهُ فِي مِثْلِ عَدَدِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ،[3] يَا عُمَرُ وَيَا عَلِيُّ إِذَا أَنْتُمَا لَقِيتُمَاهُ فَاطْلُبَا إِلَيْهِ يَسْتَغْفِرُ لَكُمَا". فَمَكَثَا يَطْلُبَانِهِ عَشْرَ سِنِينَ لا يَقْدِرَانِ عَلَيْهِ فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ السَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا أَهْلَ الْحَجِيجِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ أَفِيكُمْ أُوَيْسٌ مِنْ مُرَادٍ. فَقَامَ شَيْخٌ كَبِيرٌ طَوِيلُ اللِّحْيَةِ فَقَالَ: أَنَا لا أَدْرِي مَا أُوَيْسٌ وَلَكِنَّ ابْنَ أَخٍ لِي يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ وَهُوَ أَخْمَلُ ذِكْرًا وَأَقَلُّ مَالا وَأَهْوَنُ أَمْرًا مِنْ أَنْ نَرْفَعَهُ

[1] المصدر والصفحة السابقان.
[2] تاريخ دمشق لابن عساكر (9/ 432).
[3] قدّر أهل العلم عددهم بسبعين ألفا.

إِلَيْكَ وَأَنَّهُ لَيَرْعَى إِبِلَنَا حَقِيرٌ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَعَمَى عَلَيْهِ عُمَرُ كَأَنَّهُ لا يُرِيدُ قَالَ أَيْنَ ابْنُ أَخِيكَ هَذَا يَخْدُمُنَا هُوَ قَالَ: نَعَمْ، قال: وأين نصاب؟ (أي نلتقيه)، قَالَ: بِأَرَاكِ عَرَفَاتٍ قَالَ: فَرَكِبَ عُمَرُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سِرَاعًا إِلَى عَرَفَاتٍ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي إِلَى شَجَرَةٍ وَالإِبِلُ حَوْلَهُ تَرْعَى فَشَدَّا حِمَارَيْهِمَا ثُمَّ أقبلا إليه فقالا السلام عليكم وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

فَخَفَّفَ أُوَيْسٌ الصَّلاةَ ثُمَّ قَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ وُرَحْمَةُ الله وبركاته قالا: مَن الرَّجُلُ؟ قَالَ: رَاعِي إِبِلٍ وَأَجِيرُ قَوْمٍ قَالا: لَسْنَا نَسْأَلُكَ عَنِ الرِّعَايَةِ وَلا عَنِ الإِجَارَةِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ قالا: علمنا أن أهل السموات وَالأَرْضِ كُلَّهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ فَمَا اسْمُكَ الَّذِي سَمَّتْكَ أُمُّكَ؟ قَالَ: يَا هَذَانِ مَا تُرِيدَانِ إِلَيَّ؟ قَالا: وَصَفَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُوَيْسًا الْقَرَنِيَّ فَقَدْ عَرَفْنَا الصُّهُوبَةَ وَالشَّهْلَةَ وَأَخْبَرَنَا أَنَّ تَحْتَ مَنْكِبِكَ الأَيْسَرِ لَمْعَةً بَيْضَاءَ فَأَوْضِحْهَا لَنَا فَإِنْ كَانَ بِكَ فَأَنْتَ هُوَ.

فَأَوْضَحَ مَنْكِبَهُ فَإِذَا اللَّمْعَةُ فَابْتَدَرَاهُ يقبلانه وقالا: نَشْهَدُ أَنَّكَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ قَالَ: مَا أَخُصُّ نَفْسِي بِالاسْتِغْفَارِ وَلا أَحَدًا مِنْ وَلَدِ آدَمَ وَلَكِنَّهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ يَا هَذَانِ قَدْ أَشْهَرَ اللَّهُ لَكُمَا حَالِي وَعَرَّفَكُمَا أَمْرِي فَمَنْ أَنْتُمَا؟ قَالَ عَلِيٌّ: أَمَّا هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَّا أَنَا فَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَاسْتَوَى أُوَيْسٌ قَائِمًا. فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَأَنْتَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فَجَزَاكُمَا عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ خَيْرًا قَالا: وَأَنْتَ فجزاك

للّه عَنْ نَفْسِكَ خَيْرًا فَقَالَ عُمَرُ: مَكَانَكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ فَآتِيكَ بِنَفَقَةٍ مِنْ عَطَائِي وَفَضْلِ كِسْوَةٍ مِنْ ثِيَابِي هَذَا الْمَكَانُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لا مِيعَادَ بَيْنِي وَبَيْنَك أَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَعْرِفُنِي مَا أَصْنَعُ بِالنَّفَقَةِ مَا أَصْنَعُ بِالْكُسْوَةِ؟

أَمَا تَرَانِي عَلَى إِزَارٍ مِنْ صُوفٍ وَرِدَاءٍ مِنْ صُوفٍ مَتَى تَرَانِي أُخْرِقُهُمَا أَمَا تَرَى أَنَّ نَعْلَيَّ مَخْصُوفَتَانِ مَتَى تَرَانِي أُبْلِيهِمَا أَمَا تَرَانِي قَدْ أَخَذْتُ.مِنْ رِعَايَتِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ مَتَى تَرَانِي آكُلُهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَيْنَ يَدَيَّ وَيَدَيْكَ عَقَبَةً كُؤُدًا لا يُجَاوِزُهَا إِلا ضَامِرٌ مُخْفٍ مَهْزُولٌ فَأَخْفِ يَرْحَمُكَ اللَّهُ.

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ كَلامِهِ ضَرَبَ بِدِرَّتِهِ الأَرْضَ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَلا لَيْتَ أَنَّ أُمَّ عُمَرَ لَمْ تَلِدْهُ يَا لَيْتَهَا كَانَتْ عَاقِرًا لَمْ تُعَالِجْ حملها إلا من نأخذها بِمَا فِيهَا وَلَهَا ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خُذْ أَنْتَ مَا هُنَا حَتَّى آخُذَ أَنَا هَاهُنَا، قَالَ عمر: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ. قَالَ: أَلا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا فَيَسْتَوْصِي بِكَ؟ قَالَ: لا. أَكُونُ فِي غَبَرِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. فولّى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَاحِيَةَ مَكَّةَ وَسَاقَ أُوَيْسٌ إِبِلَهُ فَوَافَى الْقَوْمَ إِبِلَهُمْ وَخَلَّى عَنِ الرِّعَايَةِ، وسار إلى الكوفة[1].

[1] التدوين في أخبار قزوين (1/ 92-95) وروى مسلم بعضه مختصراً في صحيحه (4/ 1969) عن أسير بن جابر.

وعَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ مُحَدِّثٌ بِالْكُوفَةِ يُحَدِّثُنَا فَإِذَا فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ تَفَرَّقُوا وَيَبْقَى رَهْطٌ فِيهِمْ رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ لا أَسْمَعُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ كَلامَهُ. فَأَحْبَبْتُهُ فَفَقَدْتُهُ. فَقُلْتُ لأَصْحَابِي: هَلْ تَعْرِفُونَ رَجُلا كَانَ يُجَالِسُنَا كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: نَعَمْ أَنَا أَعْرِفُهُ. ذَاكَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ. قَالَ: فَتَعْلَمُ مَنْزِلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى ضَرَبْتُ حُجْرَتَهُ فَخَرَجَ إِلَيَّ. قَالَ قُلْتُ: يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنَّا؟ قَالَ: الْعُرْيُ. قَالَ وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَسْخَرُونَ بِهِ وَيُؤْذُونَهُ. قَالَ قُلْتُ: خُذْ هَذَا الْبُرْدَ فَالْبَسْهُ. قَالَ: لا تَفْعَلْ فَإِنَّهُمْ إِذًا يُؤْذُونَنِي إِنْ رَأَوْهُ عَلَيَّ. قَالَ فَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى لَبِسَهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: مَنْ تَرَوْنَ خُدِعَ عَنْ بُرْدِهِ هَذَا؟ قَالَ فَجَاءَ فَوَضَعَهُ وَقَالَ: أَتَرَى؟. قَالَ أُسَيْرٌ: فَأَتَيْتُ الْمَجْلِسَ فَقُلْتُ: مَا تُرِيدُونَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَدْ آذَيْتُمُوهُ. الرَّجُلُ يَعْرَى مَرَّةً وَيَكْتَسِي مَرَّةً. فَأَخَذْتُهُمْ بِلِسَانِي أَخْذًا شَدِيدًا[1]. ولم يعرف اهل الكوفة بحقيقته إلا بعدما وفدوا على عمر بن الخطاب في المدينة فأخبرهم خبره فرجعا يعتذرون إليه ويسالونه الدعاء فقال لمن كان يسخر منه: لا أَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلَ لِي عَلَيْكَ أَنْ لا تَسْخَرَ بي فِيمَا بَعْدُ وَلا تَذْكُرَ الَّذِي سَمِعْتَهُ مِنْ عُمَرَ لأَحَدٍ. قَالَ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. قَالَ أُسَيْرٌ: فَمَا لَبِثَ أَنْ فَشَا أَمْرُهُ فِي الْكُوفَةِ. ثُمَّ انملَسَ منهم فذهب[2]. ورآه آخرون قد أخذ نحو سواحل البحر مرابطا فما رآه بعد ذلك أحد من قومه[3].

---

[1] الطبقات الكبرى ط العلمية (6/ 204)

[2] الطبقات الكبرى ط العلمية (6/ 205)

[3] تاريخ دمشق لابن عساكر (9/ 426).

أويس القرني ليس بأسطورة بل معروف ومشهود وله إخوة في الله من خيرة التابعين منهم سعيد بن المسيب وهرم بن حيان رحمهما الله.

طلبه هرِم لأول مرة ، فعرفه أويس للحال، فقال هرم: فمن أين عرفتني؟ قال له أويس: إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ائتلف وما تناكر في الله اختلف. قال له أويس يا هرم أتل علي آيات من كتاب الله عز وجل فتلا عليه هذه الآية: " وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين " قال: فخرّ أويس مغشياً عليه، فلما أفاق قال له هرم: إني أريد أن أصحبك وأكون معك، فقال له أويس لا يا هرم ولكن إذا مت فتكفنني وتدفنني ثم إنهما افترقا... [1].

كان أويس القرني يقول: لأعبُدَنّ الله في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء، فكان إذا استقبل الليل قال: يا نفس الليلة القيام، فيصفّ قدميه حتى يصبح، ثم يستقبل الليلة الثانية فيقول: يا نفس الليلة الركوع، فلا يزال راكعاً حتى يصبح، ويستقبل الليلة الثالثة فيقول: يا نفس الليلة السجود، فلا يزال ساجداً حتى يصبح.

وعن الربيع بن خثيم قال أتيت أويس القرني فوجدته جالسا يصلي الفجر فقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه ثم قام إلى الصلاة حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة فقلت لا أشغله عن العصر فصلى العصر ثم صلى المغرب فقلت لا بد له من أن يرجع فيفطر فثبت مكانه حتى صلوا العشاء

[1] تاريخ دمشق لابن عساكر (9/ 437)

الآخرة فقلت لعله يفطر بعد العشاء الآخرة فثبت مكانه حتى صلى الفجر ثم جلس فغلبته عيناه فانتبه وقال: اللهم إني أعوذ بك من عينٍ نوامة ومن بطنٍ لا يشبع، فقلت حسبي ما عاينت منه فرجعت. وكان أويس القرني إذا جنّه الليل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من كل كبدٍ جائعة ومن كل بدنٍ عار، اللهم إني لا أملك إلا ما ترى[1].

أتعب أويس متعقبيه، يسألونه الدعاء، أو يدفعهم الفضول لرؤيته، فكان كلما فشا أمره في مكان انسل منه وتوجه إلى أقصى مكان، فقد أتى من اليمن وموطنه في قرن عند ميقات أهل اليمن، وما أن علم قومه بخبره حتى غادرهم إلى الكوفة، وما أن فشا أمره في الكوفة، حتى خرج إلى أذربيجان، حتى إن الناس قد اختلفوا في تاريخ وفاته ومكانها فقيل ان آخر أمره كان أن استشهد في صفين، حين قاتل في جيش الإمام علي رضي الله عنه، وقيل في سجستان وقيل في دمشق وقيل في الجزيرة فمات كما عاش مستخفياً وله ضريح يزار في الرقّة[2]. وله عقب من ذريته إلى يومنا هذا في تركيا، يعرِضون في العشر الأواخر من رمضان في كل عام البردة التي أهداها رسول الله لأويس وذلك في جامع البردة الكائن في منطقة فاتح باسطمبول. ولهذه البردة كرامة عجيبة فقد عاينتها لجنة خبراء إيطالية لترميم الآثار فوجدتها خالية تماماً من الجراثيم رغم مرور

[1] تاريخ دمشق لابن عساكر (9/ 443).
[2] في سوريا شمالي نهر الفرات بين حلب ودير الزور.

الزمن على عكس بقية ثياب سيدنا أويس التي حفظت معها والتي لا تزال تحمل آثار مرضه الجلدي.[1]

أخذت روح أويس من روح النبي فوق ما يأخذه المجالسون بأجسادهم وجهاً لوجه، استوفت حقها وروت عطشها ولم ينقص من طلبها شيء لا من العلم ولا من الحكمة ولا من العبادة.

قال أسير بن جابر: كان أويس القرني إذا حدث يقع حديثه من قلوبنا موقعا[2]، فمن أين أتى بهذه المواعظ النافذة إلى القلوب؟ وهو الذي لم يجالس أحداً ليتعلمَ منه.

تلك هي الروح الأويسية والتي أطلقت فيما بعد على كل روح استمدت من روح أرقى ولو لم تلتق الأجساد، قد تستمد من روح عاصرتها أو من روح سبقتها.

إنها أرواح مجندة من ربها مؤيَّدة ، أنوارها مسدَّدة، تنور الأفئدة، مطلقة غير مقيدة.

[1] للمزيد مراجعة الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=hJea_q2l25A

[2] تاريخ دمشق لابن عساكر (9/ 450).

24- عوالم الروح

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم، عوالم متعددة ومخلوقاتٍ كثيرة، تسبح بحمده، فقال: **{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}** [الإسراء: 44]. وذكر أيضاً أن جميع خلقه يعبدونه ويسجدون له، واستثنى صنفين من الناس، فقال: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)}** [الحج].

فمَن هم هؤلاء الناس الذين يسجد بعضهم ويكفر بعضهم؟ والجواب في سورة الناس، قال تعالى: **{الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6) }** [الناس].

ولذلك وجّه الله تعالى نداءات الإيمان في القرآن لهذين الصنفين من الخلق، الجن والإنس، وسمّاهما الثقلين، إشارة إلى عظيم خلقهما وعظيم مسؤولياتهما، عقلاً وتمكيناً وتكليفا، فقال في سورة الرحمن: **{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)}**. هم إذاً مخيرون وسيجري عليهم القلم حساباً ووصفاً وعدّا.

خلقان من خلق الله، لكل منهما خصائصه الخَلقية، أحدهما روح وتراب وهو الإنسان، والآخر روح ونار وهو الجن، ولكل منهما قدُراتُه الروحية، الجن أقدم من الإنس وقد شهد أحدهم وهو إبليس عليه اللعنة لحظة خلق آدم عليه السلام، وكان إبليس ممن عبد الله طويلاً قبل ذلك لكنه حسد واستكبر فعصى وطرد من رحمة الله، فحقد على آدمَ وبنيه وقرر، وبعلم الله طبعاً، أن يترصد معشر الإنس ويغويَهم ويوسوسَ لهم، وذلك هو الاختراق الأول من عالم الجن لعالم الإنس، ويعرف الجميع ان الله تعالى حذرنا من الشيطان ومن ذريته، فقال: **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}** [فاطر: 6]. ونبهنا سبحانه إلى ان الشيطان وأعوانَه يسعَوْن إلى تجريدنا من لباسنا وكشف عوراتنا وأنهم يروننا، فقال: **{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}** [الأعراف: 27]. وهنا يظهر الاختراق الثاني من عالم الجن لعالم الإنس.

وخطورة الاختراق الثاني أن الشياطين قد يشاركون الناس في الأموال والأولاد، في الأموال بالمال الحرام وفي الإسراف بغير هدى، وأما في الأولاد فالمقصود في الإنجاب، لأن الشياطين تنظر إلى اجتماع الرجل والمرأة، وتشتهي، وقد تشارك، إذا لم يأخذ الإنسُ حِذرهم فيستتروا ويستعيذوا،

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ، أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا".[1]

وهكذا فقد سهّل الله تعالى لبني آدم طرق التخلص من أثر الشياطين، قال تعالى:**{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (202)}** [الأعراف].

وأما من أصر على العري، فلا يلومن إلا نفسه لأنه مكن الشياطين من نفسه ومن أهله، قال تعالى:

{كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ} [الأنعام: 71]، فقد يُغرموا بما شاهدوا ولن تخلوَ تصرفاتهم بعد ذلك من الغيرة والمكر، فيحولون دون زواجه او إنجابه أو يظهر في ذريته العقوق أو الإعاقة. واللبيب من الإشارة يفهمُ.

والانسان محفوظ بأمر الله تعالى ومحاط بالحفظة من ملائكة الله تعالى ومن غيرهم من خلق الله ما لم يرتكب الخطايا والمعاصي فإن الحفظة ينحسرون عنه تباعاً كلما أصر على معصية ما، قال الله تعالى:**{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...}** [الرعد: 11].

[1] صحيح البخاري (7/ 23) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

لكن الجن مثل الناس فيهم الصالحون مثلما فيهم طوائف أخرى ومذاهب شتى، قال تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا} [الجن: 11].

بالمقابل فإن من عالم الإنس من يحاول اختراق عالم الجن، لتحصيل بعض القدرات الروحية أو بعض المكاسب المادية، ولا إذن في ذلك بل إن جواز اختراقهم هذا لا يتم إلا إذا كفروا بالله تعالى، قال تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 102].

عند ذلك تزال الحواجز الإلهية ويتراجع الحفظة ويترك الكافر وشأنه لأنه بذلك قد ابتعد عن رحمة الله وسخر نفسه عبداً لمخلوقات شيطانية يستخدمونه كما يستخدمهم بل ويؤدي ذلك به إلى سوء الخاتمة في نفسه وسوء العاقبة في ذريته وفي اتباعه. يقول الله تعالى في ذلك: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا }[الجن: 6].

مخلوقات الله كثيرة وهوام الأرض لا تحصى، ولكلٍ دوره، نعلم بعضه ونجهل أكثره، وما أوتينا معشر البشر من العلم إلا قليلا، ويعلمنا الله تعالى، أن الاختراق من عالم الإنس إلى عالم الجن لا يباح إلا للدلالة على الله وتبليغ رسالة الله إلى ذلك العالم، ولا سبيل إلا بإذن الله ومعنى الإذن منحه القدرة والقوة والسطوة عليهم كما كان حال سيدنا سليمان، فيؤمن من يؤمن منهم وينذر من يصر منهم على الكفر ويحسر نفوذه عن المؤمنين المتقين. قال تعالى لإبليس:**{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}** [الحِجر: 42].

هكذا أيضاً كان حال رسول الله ﷺ، فقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين بلا استثناء، واخبرنا ربنا سبحانه ببعض من آمن من الجن على يد النبي ﷺ، ومنهم السبعة الذين سمعوه يقرأ القرآن ببطن نخلة ليلة طرد من الطائف[1]: قال عزّ وجلّ: **{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (32)}** [الأحقاف].

[1] دلائل النبوة للبيهقي مخرجا (2/ 228) عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مسعود.

صار سبيل الهدى إلى نبي الهدى سيدنا محمد ﷺ، وأقفلت من بعد نبوته أبواب السماء في وجه من كان يسترق السمع تحت سقف السماء الدنيا، قال عزّ من قائل: **{وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10)}** [الجن]. ها قد باتوا عاجزين عن التقصي عن أحوال الناس ومصائرهم بعد أن جالوا قبل ذلك وأطالوا وكذّبوا واستغلّوا.

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِمِثْلِ هَذَا فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالُوا: كُنَّا نَقُولُ: يَمُوتُ عَظِيمٌ أَوْ يُولَدُ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: فَإِنَّهُ لاَ يُرْمَى بِهِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ لَهُ حَمَلَةُ العَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ سَأَلَ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ أَهْلَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: فَيُخْبِرُونَهُمْ ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّى يَبْلُغَ الخَبَرُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَتَخْتَطِفُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَيُرْمَوْنَ فَيَقْذِفُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَزِيدُونَ". [1]

[1] سنن الترمذي ت بشار (5/ 215) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وقد سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَاسٌ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ: «لَيْسَ بِشَيْءٍ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا مِنَ الجِنِّيِّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ».[1]

صار نبينا ﷺ ، هو المعتمد الوحيد الذي يتنزل على قلبه كلام ربه، وهو الذي يهدي به عالم الإنس وعالم الجن، قال تعالى في هؤلاء:**{وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا}** [الجن: 14]. والقاسطون هم الظالمون الذين أصروا على الكفر بعد إذ سمعوا الهدى من نبي الهدى. وصار مجلس رسول الله ﷺ يحضره الناس والملائكة وصالحو الجن، ويدعون بعضهم بعضا، للانصات والتفقه والرشاد.

كان لا بد من هذه الاستفاضة، كي يسهل علينا بعد ذلك، فهم القدرات الروحية المحمدية في هذا الشأن، فمسألة النبوة والرسالة والهداية والإرشاد مطلقة غير محصورة ، يصرَّح فيها للنبي الرسول باختراق عوالم أخرى لمعالجة كل ما من شأنه ان يؤثر على دعوته إلى الله وعلى المدعوين إلى الإيمان. نتابع ذلك في الصفحات التالية.

[1] صحيح البخاري (7/ 136) عَنْ عَائِشَةَ.

25- الروح المخترقة

ليلة الجن

نبيُّ الله ورسولُه، ولا نبيَّ بعده ولا رسول، مكلفٌ برسالة خالدة باقية إلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها، لا يمكن ان يترك ربنا مع هذه الرسالة ألغازاً وغوامض، تعالى عن ذلك علواً كبيرا، هي بيضاء نقية ليلها كنهارها فيها بيان وتفصيل لكل شيء، وما استعصى فهمه على الناس شرحه نبينا ﷺ، وكان الحبيب المصطفى ﷺ يقول في ذلك: "سلوني". ويقول لأهله "سلوني من مالي"، ويقول لأحبار اليهود "سلوني عما شئتم".[1]

لقد خوّل الله تعالى نبيه ﷺ بعلوم وقدرات روحية تؤثر فيمن يريد الخير، وتزجر من لا يبغي إلا الشر، وأذن له بالاطلاع على عوالم أخرى، لا بل أعطاه من القدرات الروحية ما جعلته يتدخل في هذه العوالم ليجذب عمّارها إلى الإسلام. قال تعالى لنبيه في ذلك: **{بسم الله الرحمن الرحيم، قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2)}** [الجن].

وحاشى لنبي الله أن يستغل هذه القدرات لمآرب ومكاسب كما يفعل الذين كفروا وسخروا أنفسهم عبيداً لمخلوقات اخرى ومنهم الجن. فمنهم

[1] صحيح البخاري (1/ 30) عن أبي موسى الأشعري. مسند أحمد ط الرسالة (4/ 311)، عن ابن عباس.

من عبد الشيطان خوفاً ومنهم من تولاه منفعة ومصلحة. فكانت عاقبة هؤلاء السخط من الله وسوء الخاتمة وسوء العاقبة كما أسلفنا من قبل.

ومن آمن بنبينا من هؤلاء فقد اهتدى وسلم من الضنك والشقاء، قال تعالى: **{وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا}** [الجن: 13].

عرف رسول الله ﷺ مكائد الشياطين، ودل أصحابه عليها، ووصلتنا منهم بحمد الله تعالى، ومما بلغنا عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، قَالَ: أَقَطْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ.[1]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ قَالَ – يَعْنِي – إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ".[2]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يُذْكَرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ ".[3]

---

[1] سنن أبي داود (1/ 127)، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص.
[2] سنن الترمذي ت بشار (5/ 365). عن أنس.
[3] صحيح مسلم (3/ 1598)، وأحمد وابن ماجه والنسائي وابن حبان ، عن جابر رضي الله عنه.

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ (مواضع قضاء الحاجة) مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ ".[1]

ولم يكتفِ رسول الله ﷺ بتعليم أصحابه ما ينبغي قوله، بل أفاض في تعليمهم المغزى مما يقولون، ومفعولها في العوالم الأخرى، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ(الحيّات المعمِّرة)، فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا، فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ".[2]

وعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَتَمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيَأْتِي الْقَوْمَ، فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ، فَيَتَفَرَّقُونَ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرِفُ وَجْهَهُ، وَلَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ ".[3]

لا بل أكثر من ذلك أوضح عليه الصلاة والسلام لحبر هذه الأمة تفاصيل مذهلة عن الجن وعن طريقة عملهم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ فَتَبِعَهُ رَجُلَانِ، وَرَجُلٌ يَتْلُوهُمَا، يَقُولُ: ارْجِعَا، قَالَ: فَرَجَعَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَيْنِ شَيْطَانَانِ، وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ بِهِمَا حَتَّى رَدَدْتُهُمَا، فَإِذَا أَتَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ، وَأَعْلِمْهُ أَنَّا فِي جَمْعِ صَدَقَاتِنَا، وَلَوْ

[1] (ابن حبان) 1406 , (أحمد) 19350 , (أبو داود) 6 , (ابن ماجة) 296، عن زيد بن أرقم.
[2] صحيح مسلم (4/ 1757)، عن أبي سعيد الخدري.
[3] صحيح مسلم (1/ 12)، عن عبد الله ابن مسعود.

كَانَتْ تَصْلُحُ لَهُ، لَأَرْسَلْنَا بِهَا إِلَيْهِ، قَالَ: "فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عِنْدَ ذَلِكَ عَنِ الْخَلْوَةِ". [1] أي ان يسير المرء أو ان ينام منفرداً ليلاً.

وكان رسول الله ﷺ لا يبوح عن هذه العوالم إلا بمقدار ما يمكن لأصحابه استيعابه، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَ سَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ

[1] مسند أحمد مخرجا (4/ 308)، عن ابن عباس.

اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: **{اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ}** [البقرة: 255]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: **{اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ}** [البقرة: 255]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ – وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ – فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ».[1]

لم تكن هذه القدرات الروحية الخاصة للنبي ﷺ لتسري بموافقة أعداء الله وشياطين الأرض، فلما عجز اعداء النبي من البشر إلحاق الأذى بنبينا ﷺ، أقدمت الشياطين على محاولة إيذائه مباشرة وبلا واسطة:

فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِي، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ

[1] صحيح البخاري (3/ 101)، عن أبي هريرة.

سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا»[1].

لم يكتف رسول الله ﷺ بذكر ذلك للصحابة أقوالاً بل علّم بعضهم كيف يقاومون الشياطين فعَنْ أبي سعيد الخدري قال: هَاجَتِ السَّمَاءُ مِنْ تِلْكِ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ بَرَقَتْ بَرْقَةٌ، فَرَأَى قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ، فَقَالَ: "مَا السُّرَى يَا قَتَادَةُ؟ "، فَقَالَ: عَلِمْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّ شَاهِدَ الصَّلَاةِ اللَّيْلَةَ قَلِيلٌ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْهَدَهَا قَالَ: "فَإِذَا صَلَّيْتَ فَاثْبُتْ حَتَّى أَمُرَّ بِكَ"، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَعْطَاهُ الْعُرْجُونَ، فَقَالَ: "خُذْ هَذَا، فَسَيُضِيءُ لَكَ أَمَامَكَ عَشْرًا، وَخَلْفَكَ عَشْرًا، فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَرَأَيْتَ سَوَادًا فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ فَاضْرِبْهُ قَبْلَ أَنْ تَكَلَّمَ؛ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ" قَالَ: فَفَعَلَ، فَنَحْنُ نُحِبُّ هَذِهِ الْعَرَاجِينَ لِذَلِكَ.[2]

واللافت في هذه القصة أن رسول الله ﷺ كان يعلم ما الذي ينتظر هذا الصحابي في بيته.

ومع فضل الله تعالى في إسلام الجن على يدي النبي ﷺ، وحضورهم مجالسه، فإن رسول الله كان يؤثر أصحابه عليهم ويثير روح المنافسة بينهم، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا،

[1] صحيح البخاري (4/ 162) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

[2] صحيح ابن خزيمة (3/ 81)، ومسند أحمد مخرجا (18/ 169). عن أبي سعيد الخدري.

فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: {فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 13]، قَالُوا: لاَ بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ". [1]

ومن أراد ان يستزيد عن القدرات الروحية الخاصة للنبي ﷺ فليطلع على حديث الصحابي عبد الله ابن مسعود عن ليلة الجن، لما سئل: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ. فَقُلْنَا: اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ. قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلَ حِرَاءٍ. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: " لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ». [2]

وفي رواية لابن مسعود أن النبي ﷺ خطّ له خطاً في تلك الليلة وقال له: لا تخرج فإنك إذا خرجت من هذا لم ترني ولم أرك إلى يوم القيامة، وشاهد عبد الله مثل العجاجة السوداء قد غشيت النبي ﷺ، فخشي

[1] سنن الترمذي ت بشار (5/ 252) عَنْ جَابِرٍ
[2] صحيح مسلم (1/ 332) عن عَلْقَمَةُ.

عليه، قال: فلما كان قريبا من الصـــبح أتاني فقال: أنمتَ؟ فقلت: لا والله ولقد هممت أن اســـتصـــرخ الناس حين سمعتك تقرعهم بعصـــاك تقول: اجلســـوا، قال: لو خرجت لم آمن من أن يخطفك بعضـــهم ثم قال: تلك الجن قد رأت في قتيل بينهم فقضي بينهم بالحق. [1]

في الخلاصة، لا يخشين أحد من المؤمنين، من شياطين الجن بقدر ما يحذر من شياطين الإنس فإن الله تعالى تكفل برد كيد شياطين الجن في نحورهم وسخر من أسلم من الجن لحماية المؤمنين، وطالما ان المؤمن يلتزم بما أمر به القرآن ووصانا به نبينا عليه الصلاة والسلام فلا خوف ولا حزن. والحزن كل الحزن والأسف كل الأسف لمن أذعن لشياطين الإنس وعلى رأسهم رفاق السوء وأراذل القوم مهما علا شأنهم الاجتماعي أو انخفض. وقد تعهد الله تعالى بحفظ عباده الصالحين ومن أوفى بعهده من الله. وما سبق ما ذكرناه إلا لنعلم أن لرسول الله ﷺ طاقات روحية متعددة، وقد خاب وخسر من استخف بهذا النبي العظيم وخاصة بمن يقول أن رسول الله ﷺ قد مات وقد انتهى دوره. ففي ذلك أن الإيمان في قلوب هؤلاء قد مات وإنا لله وإنا إليه راجعون.

[1] كنز العمال (6/ 169) عن عبد الله بن مسعود 15234، (عبد الرزاق في الجامع).

26- خروج الروح

الحمد لله{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك: 2]، والصلاة والسلام على نبي الرحمة القائل: "كن في الدنيا كأنك غريبٌ او عابرُ سبيل".[1]

تستعد الروح الآن للانتقال، بات اختبار الحياة الدنيا على وشك الانتهاء، ويكاد الأمر الإلهي يصدر باستيفاء الأمانة، وهي الروح التي أستودعها الله تعالى عند ابن آدم؛ قال تعالى: { ليبلوكم أيكم أحسن عملا }؛ فكيف يتم ذلك؟ وإلى أين تذهب الروح؟

لا داعي للاستياء ولا للذعر! أولسنا بمؤمنين! ألم يعهد إلينا ربنا أن نؤمن بالله واليوم الآخر؟ أليس من الأجدر بنا ان نكون على بّينة من الاستحقاق الآتي الذي لا بد منه. إذن لا داعي للجزع ولا للتواري، كما تدفن النَعامة رأسها في التراب، إنها الحقيقة وهي لا محالة آتية. قال الله تعالى: { ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16)} [المؤمنون:].

تكتب آجال الناس، يوم تُبَثُّ فيهم الروح، وهم أجنةٌ في بطون أمهاتهم، ثم تصدر لائحة الوفيات في شهر شعبان من كل عام، قال رسول الله

[1] (البخاري) 6053 , (الترمذي) 2333، عن عبد الله ابن عمر.

ﷺ: "تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى أن الرجل ليَنكح، ويولد له ولد، وقد خرج اسمه في الموتى".[1]

ومن رحمة الله تعالى بعباده، أنه لا يُغلِق باب التوبة في وجه أحد، إلى أن يحين الأجل، قال تعالى: **{ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {18}** [سورة النساء].

فإذا حان الموعد، فات أوان التوبة، قال رسول الله ﷺ: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر".[2] يقول الله تعالى: **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}** [الأنعام: 158].

ويُبشَّر المؤمن عند الوفاة، حين ينقطع عمن حوله من الناس، وتفتح عين بصيرته، فلا تقبض روح المؤمن إلا بعد أن يسلِّمَ عليه ملكُ الموت وأعوانه، يقولون له ربك يقرئك السلام فيطمئن. قال الله تعالى: **{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}** [النحل: 32].

---

[1] أخرجه الديلمي عن أبي هريرة.

[2] الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن عبد الله ابن عمر. والغرغرة حين يدخل الماء إلى الحلق فقط ويبقى في الفم.

جاء رجل إلى أم سـلمة رضـي الله عنها قال: فلان بالموت، فقالت: إنطلق فإذا رأيتَه احتضر، فقل: سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين[1].

وتدعى لحظة الوفاة النزعَ، وأصل النزع في لسان العرب، الجذب والقلع، فالروح منتشرة في كامل الجسد، ويبدأ إخراجها من أسفل القدمين وأصابع الأرجل صعوداً حتى تخرج من أعلاه، أخرج ابن أبي الدنيا، عن عكرمة، في قول الله تعالى: **{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27)}** [القيامة]، قال: يقول أعوان ملك الموت (من الملائكة) بعضهم لبعض: من يرقى بروحه من أسفل قدمه إلى موضع خروج نفسه؟[2] ومن الذي سيرقى بروحه، ملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة![3]

وتكون الروح عند ذلك قد وصلت إلى الحلق، يقول الله تعالى: **{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85)}**، [الواقعة].

وتخرج روح المؤمن بأسهل ما يكون، قال تعالى: **{وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا}** يعني: الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين، تنشطها نشطاً: أي تسلها برفق وسهولة.

---

[1] السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ص40.
[2] أخرجه إبْن أبي الدُّنْيَا عَن عِكْرِمَة، المصدر ذاته، (ص: 50)
[3] المصدر ذاته، ص67، وعن ابن عباس مَنْ يَرْقَى بروحه إلى السماءِ. التفسير الوسيط - مجمع البحوث (10/ 1692).

وأما أرواح الكفار فتنتزعها الملائكة انتزاعاً، كما قال الله تعالى مقسماً: **{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا}** [النازعات: 1]. أي: نزعًا شديدًا، من قدميه إلى حلقه. وتسمى هذه المرحلة سكرةَ الموت، قال الله تعالى: **{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}** [ق: 19].

ويصف الله تعالى هذا المشهد بقوله جلّ وعلا: **{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ }** [الأنعام: 93]

وتختلف حالة النزع من شخص لآخر، فبين مؤمنٍ تخرج نفسه بسلاسة، وبين كافرٍ له عمل صالح، فتهوَّن عليه سكرةُ الموت جزاءً بما أحسن، ليستوفيَ ثوابَه في الدنيا، وبين مؤمن بقي عليه شيءٌ من ذنوبه، يشتد الأمر عليه ليخرجَ من الدنيا ولا ذنبَ عليه، فيكون الموت كفارةً لذنوبه[1]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ رَشْحًا، وَإِنَّ نَفْسَ الْكَافِرِ تَسِيلُ كَمَا تَخْرُجُ نَفْسُ الْحِمَارِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ فَيُشَدَّدُ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيُكَفَّرَ بِهَا، وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَيُسَهَّلُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيُجْزَى بِهَا»[2].

[1] حديث:: "الموت كفارة لكل مسلم". المجالسة وجواهر العلم (1/ 354)عَنْ أَنَسٍ.
[2] المعجم الكبير للطبراني (10/ 79)، وشعب الإيمان (12/ 456)، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مسعود

و" الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ" [1]. كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وعَرَقَ الْجَبِينِ قد يَكُونُ لِمَا يُعَالِجُ من شدَّة ما يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ فَيُجَازَى بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ يَكُونُ مِنَ الْحَيَاء. حين تعرض عليه بعض ذنوبه، قال مجاهد: (بلغنا أن نفس المؤمن لا تخرج، حتى يعرض عليه عملُه، خيرُه وشرُّه). [2]

وقال سلمان الفارسي رضي اللّه عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ – ﷺ – يَقُولُ: " ارْقُبُوا الْمَيِّتَ عِنْدَ وَفَاتِهِ، فَإِذَا ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، وَرَشَحَ جَبِينُهُ، وَانْتَشَرَ مِنْخَرَاهُ , فَهو رَحْمَةٌ مِنَ اللّهِ نَزَلَتْ بِهِ، وَإِذَا غَطَّ غَطِيطَ الْبَكْرِ الْخَنِقِ (والبكر هو فتى الإبل) , وَكَمَدَ لَوْنُهُ , وَأَزْبَدَ شَفَتَاهُ، فَهو عَذَابٌ مِنَ اللّهِ نَزَلَ بِهِ ". [3]

ودَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ رضي اللّه عنه وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَلَمَّا شَقَّ بِبَصَرِهِ مَدَّ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فَأَغْمَضَهُ، فَلَمَّا أَغْمَضَهُ صَاحَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَسَكَّتَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ النَّفْسَ إِذَا خَرَجَتْ يَتْبَعُهَا الْبَصَرُ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْضُرُ الْمَيِّتَ فَيُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا يَقُولُ أَهْلُ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ ارْفَعْ دَرَجَةَ أَبِي سَلَمَةَ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَوْمَ الدِّينِ "[4].

كما يستحب أن يقال عند التغميض: بسم اللّه وعلى ملة رسول اللّه. [5]

---

[1] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، عَنْ بُرَيْدَةَ.

[2] السيوطي، شرح الصدور، ص81.

[3] التدوين في أخبار قزوين - (ج 1 / ص 168)،عَنْ سَعِيدِ بْنِ سُوقَةَ.

[4] مسند البزار = البحر الزخار (9/ 121) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[5] مصنف ابن أبي شيبة (2/ 448)، السنن الكبرى للبيهقي (3/ 541)،عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ.

وتبقى الفتنة الأخيرة للشيطان الرجيم، قال رسول الله ﷺ: "إحضَروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا اللّه، وبشروهم بالجنة، فإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، والذي نفسي بيده لا يموت عبد حتى يألم كل عرق منه على حياله".[1]

وقد ورد: "إِن الْمَلَائِكَة تكتنف العَبْد وتحبسه لَوْلَا ذَلِك لَكَانَ يعدو فِي الصَّحَارِي والبراري من شدَّة سَكَرَات الْمَوْت".[2] قال ﷺ: " ... فيجلس ملك الْمَوْت عِنْد رَأسه، وتحتوشه الْمَلَائِكَة، وَيَضَع كل ملك مِنْهُم يَده على عُضْو من أَعْضَائِهِ...".[3]

وقيل إن الشيطان تمثّل للنبي ﷺ، وبيده قارورة ماء فقال: أبيعه بإيمان الناس حالة النزع، فبكى النبي ﷺ، فأوحى اللّه إليه: "أني أحفظ عبادي في تلك الحالة من كيده".[4] وكان رسول الله ﷺ يقول: " أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ: مِنْ نَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ، وَهَمْزِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ". وذلك مصداقاً لقوله تعالى: **{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)}** [المؤمنون]. أي أعذني أن يحضرني الشيطان في كل الأحوال والأوقات، ومن ذلك حال النزع التي هي أشدّ الأحوال.[5]

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (5/ 186)، عن واثلة بن الأسقع.
[2] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: 39)، نسبه إلى أنس عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.
[3] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: 57).
[4] روح البيان (10/ 315).
[5] التفسير الوسيط - مجمع البحوث (6/ 1330) ، ومِنْ أَجدر الأَحوال بالاستعاذة بالله من الشياطين حالُ الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل.

وفي إحياء علوم الدين: ظهر الشـــيطان لبعض الأولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال أفلتَّ مني يا فلان فقال لا بعد.[1] ومما يسـهل الوفاة قراءة شـيء من القرآن وخاصـة سـورة يس، لقول النبي ﷺ: "ما من ميت يموت فيقرأ عنده سورة يس إلا هوّن الله عليه." [2] وقال كذلك: "اقرؤوا على مَوْتَاكُم "يس" [3].كما اســـتعان كثير من الصالحين بالروائح الطيبة تكريماً لمن يحضر من ملائكة الله عز وجلّ: قَالَ سلمان الفارسي لِأَهْلِهِ عند احتضاره: مَا فَعَلَ الْمِسْكُ الَّذِي قَدِمْتُ بِهِ مِنْ بَلَنْجَرَ (من بلاد القوقاز)؟، قَالَتْ: هو ذَا، قَالَ: بُلِّيهِ , ثُمَّ انْفُخِيهِ حَوْلَ فِرَاشـــِي، فَإِنَّهُ يَدْخِلُ عَلَيْكِ أَقْوَامٌ يَشـــِمُّونَ الرِّيحَ, وَمَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ , ثُمَّ توفي رضي الله عنه. [4]

ويبدو أن السواك وطيب رائحة الفم يسهّلان خروج الروح، فقد استدل بعض العلماء بحديث عائشة في الصحيح في قصة تسوّك رسول الله عند احتضاره بمسواك أخيها عبد الرحمن[5]. ولربما أن ذلك يسرّع في عمل الملائكة الذين يحبون الرائحة الطيبة ويأنفون من الروائح الكريهة.

ولا يغيب عن البال ترداد لا إله إلا الله حتى يقولَها المحتضر وتكونَ آخر كلامه من الدنيا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[6].

---

[1] إحياء علوم الدين (3/ 414). ورد انه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.
[2] كنز العمال (15/ 563) أبو نعيم عن أبي الدرداء وأبي ذر معا".
[3] أخرجه إِبْن أبي شيبَة وَأحمد وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَالْحَاكِم وَابْن حبَان عَن معقل بن يسَار.
[4] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (2/ 91)،(التدوين في أخبار قزوين) وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ سُوقَةَ.
[5] السيوطي، شرح الصدور، ص35.
[6] صحيح مسلم (2/ 631)، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، وعن أبي هريرة.

وقال عليه الصلاة والسلام : "من كان آخرُ كلامهِ لا إله إلا اللهُ دخل الجنة".[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, يَبْلُغُ بِهِ, قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ. وَقَالَ بَنُو آدَمَ: مَا خَلَّفَ؟"[2]، (أي يسألون عن ماله وعن ورثته).

كان لا بد من وصف حال المحتضر حتى نتمكن من عرض ما تراه الروح وتسمعه مما يدور حولها من أقوال وأفعال. إنها سنة الخلق، يروى: " أن الله عز وجل لما مسح على ظهر آدم عليه السلام فاستخرج ذريته قالت الملائكة: رب لا تسعهم الأرض قال الله تعالى: إني جاعل موتاً: قالت: رب لا يهنيهم العيش. قال: إني جاعل أملاً ".[3]

فالأمل رحمةٌ من الله تعالى، تنتظم به أسباب معيشة الناس، ونضالهم للبقاء ورغبتهم بالإنجاب وسعيهم للعمران والتحسين.

والمؤمن في الحقيقة لم يخلق للفناء بل للخلود وللراحة في النعيم إلى الأبد، هذا إذا اتعظ وجدّ في سعيه، ليُنقَلَ من دار العمل إلى دار الثواب. فهنيئاً لمن عقل عن الله مراده، فأحسن العمل للاستقرار في دار القرار.

---

[1] سنن أبي داود (5/ 34)، عن معاذِ بن جبل، والإمام أحمد عن معاذ.
[2] شعب الإيمان (13/ 84).
[3] التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 344).

27- شهود الروح

ما الذي تشهده الروح عندما يحين الأجل، والموت خير واعظ، فقد شكت امرأة إلى السيدة عائشة قسوة قلبها فقالت أم المؤمنين: (أكثري ذكر الموت يرق قلبك).

لن تجلوَ عن القلب قسوتُه ما لم يتعظ، ولن تهدأ فورة غضب الناس ولا تقاتلُهم على الدنيا، إلا بإيقاظهم، وخير واعظ كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، دخل عمر على رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: " مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا، إلا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا "[1].

فهل أحب رسول الله ﷺ الموت للموت؟ بالطبع لا، فقد روت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، أنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: "مَنْ أَحَبّ لِقَاءَ الله أَحَبّ الله لِقَاءَهُ. ومَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ". فقَالتْ: يَا رَسُولَ الله كُلّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ. قالَ: "لَيْسَ ذلِكَ. وَلكِنّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشّرَ بِرَحْمَةِ الله ورِضْوَانِهِ وَجَنّتِهِ، أَحَبّ لقاء الله، وأَحَبّ الله لِقَاءَهُ. وإنّ الْكافِرَ إِذَا بُشّرَ بِعَذَابِ الله وسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ الله وكَرِهَ الله لِقَاءَهُ".[2]

و«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»[3].

---

[1] مسند أحمد (4/ 473). عن ابن عباس

[2] البخاري ومسلم والرواية لمسلم (4/ 2065)، عن عائشة.

[3] صحيح مسلم (4/ 2272)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

قال عليه الصلاة والسلام: " الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَسَنَتُهُ، فَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا، فَارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ " [1] إلى الجنان والخيرات. (والسنة القحط والجدب). وقَالَ ﷺ: " الْمَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "[2]

لنستعرض ما يعرض للعبد من مشاهد من حينِ يحينُ أجلُه: أول من يعلم بموت العبد الملائكة الحفظة، لأنهم يعرجون بعمله وينزلون برزقه، فإذا لم يخرج له رزق علموا أنه ميت[3].

تذسلّ الروح صعوداً من أ سفل قدم العبد لتخرج من أم رأ سه، وعندما تبلغ الحلق ، يعجز الميّت عن الكلام ويدخل في العالم الآخر، يقول اللّه تعالى: **{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ {83} وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ {84} وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ {85}** (سورة الواقعة). فيرى هو الملائكة ولا يراهم الذين يتحلقون من حوله، ثم يُعرض عليه شريطُ أعماله، قال مجاهد: (بلغنا أن نفس المؤمن لا تخرج حتى يعرض عليه عمله، خيره وشره).[4] فيرشح جبينه عرقاً حياءً مما يُعرض عليه.

وعَادَ النَّبيُّ ﷺ مَرِيضًا فَقَالَ: " مَا مِنْهُ عِرْقٌ إِلَّا وَهُوَ يَأْلَمُ مِنْهُ " غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: " قَدْ أَتَاهُ آتٍ مِنْ رَبِّهِ فَبَشَّرَهُ أَنْ لَيْسَ لَهُ بَعْدَهُ عَذَابٌ ". وَدَخَلَ النَّبيُّ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ: " كَيْفَ تَجِدُكَ؟ "

---

[1] مسند أحمد ط الرسالة (11/ 442)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو.
[2] شعب الإيمان (12/ 294)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.
[3] السيوطي، شرح الصدور، عن الدينوري في المجالسة، عن راشد بن سعد عن النبي ﷺ.ص54.
[4] السيوطي، المصدر ذاته ، ص81.

قَالَ: أَجِدُنِي رَاغِبًا وَرَاهِبًا. قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ , لَا يَجْتَمِعَا لِأَحَدٍ عِنْدَ هَذِهِ الْحَالِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا رَجَا وَأَمَّنَهُ مِمَّا يَخَافُ ".[1]

بينما دخل النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ: «لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ الأعرابي: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذًا».[2]

وأما الشهيد فمن كرامة الله عليه أنه لا يشعر بالألم، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ، إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسِّ الْقَرْصَةِ»[3].

وقال رسول الله ﷺ لسيدنا أنس: «يَا بُنَيَّ , إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَبِيتَ إِلَّا عَلَى وُضُوءٍ فَافْعَلْ , فَإِنَّهُ مَنْ أَتَاهُ الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى وُضُوءٍ أُعْطِيَ الشَّهَادَةَ»[4].

وكثير من الناس تفوتهم هذه المكرمة، على جهل منهم او من أهليهم، وقد رأيناها عندما دنا أجل سماحة الشيخ أحمد كفتارو حيث طلب من شيخنا، رحمه الله، أن يوضئه، وكذلك طلب شيخنا من أهله أن يوضئوه وهو في النزع الأخير .

ولأرواح المقربين حظوةٌ عند ربهم، قال رسول الله ﷺ: " ... فيجلس ملك الْمَوْت عِنْد رَأسه، وتحتوشه الْمَلَائِكَة، وَيَضَع كل ملك مِنْهُم يَده على عُضْو من أَعْضَائِهِ، ويُبسط ذَلِك الْحَرِيرُ الْأَبْيَض، والمسكُ الأذفر

---

[1] شعب الإيمان (12/ 314). عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ.

[2] صحيح البخاري (7/ 117)،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[3] مسند أحمد (13/ 334) والترمذي، وابن ماجه وابن حبان والطبراني في الأوسط، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

[4] المعجم الصغير للطبراني (2/ 101)، والأوسط، (123/6)، عن أنس.

تَحت ذقنه، وَيُفتح لَهُ بَاب إِلَى الْجنَّة، قَال: فَإِن نَفْســـه لَتُعَلَّلُ عِنْد ذَلِك بطرَف الْجنَّة، مرّةً بأزواجها، وَمرَّة بسُكوتها، وَمرَّة بثمارها، كَمَا يُعلِّل الصَّبِيَّ أَهلُه إِذا بَكَى، وَإِن أَزوَاجَه ليبتهشن عِنْد ذَلِك إبتها شا، قَـال: وتُنزر الرّوح نَزْوًا، وَيَقُول ملـك الْمَوْت: أُخْرُجِي أيتهـا الرّوح الطّيبَة، إِلَى سدر مخضود، وطلح منضود، وظل مَمْدُود، وَمَاء مسكوب. قَالَ ولَملكُ الْمَوْت أَشـــد تلطفا بِهِ من الوالدة بِوَلَدِهَا، يعرف أَن ذَلِك الرُّوح حبيبٌ إِلَى ربه، كريمٌ على الله، فَهُوَ يلْتَمس بِلُطْفِهِ بِتِلْكَ الرّوح رضَا اللهِ عَنهُ، فتُسَلُّ روحه، كَمَا تُسَلُّ الشعرة من الْعَجِين، قَالَ وَإِن روحَه لتخرجُ وَالْمَلَائِكَة حولَه يَقُولُونَ ســـلام عَلَيْكُم أدخلُوا الْجنَّة بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ، وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: **{الَّذين تتوفاهم الْمَلَائِكَة طيبين}**، قَالَ: **{فَأَما إِن كَانَ من المقربين فَروح وَرَيْحَان وجنة نعيم}** قَالَ رَوْحٌ يَعْنِي رَاحَةً من جهد الْمَوْت، وَرَيْحَانٌ يُتلَقَّى بِهِ عِنْد خُرُوج نَفســـه، وجنةُ نعيم أَمَامه أَو قَالَ مُقَابِله.

فَإِذا قبض ملك الْمَوْت روحَه يَقُول الرُّوح للجســـد: جَزَاك الله عني خيرا لقد كنت بي ســـَريعا إِلَى طَاعَة الله تَعَالَى، بطيئا بي عَن معصيته، فهنيئا لَك الْيَوْم، فقد نجوت وأنجيت؛ وَيَقُول الْجَسَد للروح مثلَ ذَلِك، قَالَ: وتبكي عَلَيْهِ بقاع الأَرْض الَّتِي كَانَ يُطِيع الله عَلَيْهَا وكل بَاب من السَّمَاء يصعد مِنْهُ عمله وَينزل مِنْهُ رزقه، أَرْبَعِينَ لَيْلَة، فَإِذا قُبضت روحه أَقَامَت الْمَلَائِكَة الْخَمْسمِائَةِ عِنْد جسده لَا يقلّبه بَنو

آدم لشِق إِلَّا قلبته الْمَلَائِكَة قبلهم، وعلته بأكفانٍ قبل أكفانهم، وحنوطٍ قبل حنوطهم، وَيقوم من بَابِ بَيته إِلَى بَابِ قَبره، صفّان من الْمَلَائِكَة، يَسْتَقْبِلُونَهُ بالإستغفار؛ ويصيح عِنْد ذَلِك إِبْلِيس صَيْحَة يتصدع مِنْهَا بعض عِظَام جســـده وَيَقُول لجنوده الويل لكم كَيفَ خلُص هَذَا العَبْد مِنْكُم فَيَقُولُونَ إِن هَذَا كَانَ مَعْصُوما". [1]

وحثَّ النبي ﷺ أصحابه على المسارعة في دفن الميت، فقَالَ: «مَنْ مَاتَ بُكْرَةً، فَلَا يَقِيلَنَّ إِلَّا فِي قَبْرِهِ، وَمَنْ مَاتَ عَشِيَّةً فَلَا يَبِيتَنَّ إِلَّا فِي قَبْرِهِ» [2].

وقَالَ ﷺ لِقَوْمٍ أَخَّرُوا دَفْنَ مَيِّتِهِمْ: "عَجِّلُوا بِدَفْنِ جيفتكم". [3]

ولا يستخفنّ الأحياء بجسد الميت عند غسله ووضعه في لحده، ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا" [4]

والميت يرى ما يُفعلُ به: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَعْلَمُ مَنْ يُغَسِّلُهُ، وَمَنْ يُكَفِّنُهُ، وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِي حُفْرَتِهِ» [5].وعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ قَالَ: «الرُّوحُ بِيَدِ الْمَلَكِ وَالْجَسَدُ يُقَلَّبُ، فَإِذَا حَمَلُوهُ تَبِعَهُمْ، فَإِذَا وُضِعَ فِي الْقَبْرِ بَثَّهُ فِيهِ» [6].

---

[1] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: 57). نسبه إلى أَبي يعلى فِي مُسْنده وإبن أبي الدُّنْيَا من طَرِيق يزِيد الرقاشِي عَن أنس عَن تَمِيم الدَّارِيّ.

[2] المعجم الكبير للطبراني (12/ 421)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ.

[3] تفسير القرطبي (4/ 298)

[4] سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (2/ 541) عَنْ عَائِشَةَ. (والإمام احمد وابو داود وابن حبان).

[5] المعجم الأوسط (7/ 257)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ.

[6] إثبات عذاب القبر للبيهقي (ص: 53)

قَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ لرجل: أَبَا هَزَّارٍ، أَلَا أُحَدِّثُكَ مَا يَقُولُ الْمَيِّتُ عَلَى سَرِيرِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّهُ يُنَادِي يَا أَهْلَاهُ وَيَا جِيرَانَاهُ وَيَا حَمَلَةَ سَرِيرَاهُ، لَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا كَمَاغَرَّتْنِي، وَلَا تَلْعَبَنَّ بِكُمُ كَمَا لَعِبَتْ بِي، فَإِنَّ أَهْلِي لَمْ يَحْمِلُوا عَنِّي مِنْ وِزْرِي شَيْئًا، وَلَوْ حَاطُّونَ الْيَوْمَ عِنْدَ اللَّهِ لَحَجُّونِي، قَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: الدُّنْيَا أَسْحَرُ لِقَلْبِ الْعَبْدِ مِنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَمَا آثَرَهَا عَبْدٌ قَطُّ إِلَّا أَصْرَعَتْ خَدَّهُ ".[1]

وعَن أنس أَن النَّبِي ﷺ قَالَ مَا من إِنْسَان إِلَّا لَهُ بَابَان فِي السَّمَاء بَاب يصعد عمله فِيهِ وَبَاب ينزل مِنْهُ رزقه فَإِذا مَاتَ العَبْد الْمُؤمن بكيا عَلَيْهِ[2]

وسئل ابن عباس عَن قَوْله تَعَالَى **{فَمَا بَكت عَلَيْهِم السَّمَاء وَالْأَرْض}** هَل تبْكي السَّمَاء وَالْأَرْض على أحد قَالَ نعم إِنَّه لَيْسَ أحد من الْخَلَائق إِلَّا لَهُ بَاب فِي السَّمَاء ينزل رزقه مِنْهُ وَفِيه يصعد عمله فَإِذا مَاتَ الْمُؤمن فأغلق بَابه من السَّمَاء الَّذِي كَانَ يصعد عمله فِيهِ وَينزل مِنْهُ رزقه فقد بَكَى عَلَيْهِ وَإِذا فَقده مُصَلَّاهُ من الأَرْض الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيذكر الله فِيهِ بَكت عَلَيْهِ وَإِن قوم فِرْعَوْن لم يكن لَهُم فِي الأَرْض آثَار صَالِحَة وَلم يكن يصعد إِلَى الله مِنْهُم خير فَلم تبك عَلَيْهِم السَّمَاء وَالْأَرْض [3]. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "...إنهما لا يبكيان على كافر".[4] ولَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَ

---

[1] الزهد لأحمد بن حنبل (ص: 136)

[2] شرح الصدور (ص: 97-98-99) أخرجه التِّرْمِذِيّ وَأَبُو نعيم وَأَبُو يعلى وإبن أبي الدُّنْيَا.

[3] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: 97-98-99). أخرجه ابن جرير.

[4] شعب الإيمان (12/ 295)، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ الْحَضْرَمِيِّ

صُهَيْبٌ يَقُولُ: وَا أَخَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الحَيِّ»[1]. والمقصود النياحة واللطم وشق الجيوب.

ولما أغمي على مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، جَعَلَتْ أُخْتُهُ تَقُولُ: وَاجَبَلَاهُ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «مَا زِلْتِ مُؤْذِيَةً لِي مُنْذُ الْيَوْمِ» قَالَتْ: لَقَدْ كَانَ يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أُؤْذِيَكَ، قَالَ: " مَا زَالَ مَلَكٌ شَدِيدُ الِانْتِهَارِ كُلَّمَا قُلْتِ: وَاكَذَا قَالَ: أَكَذَلِكَ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ لَا "[2].

وحين تمشي الجنازة، تنتصب الروح عند قدمي صاحبها، تواجه الذين يمشون خلفها. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ ".[3]

وأوصى عمر بن الخطاب ابنه قَالَ: يَا بُنَيَّ ... إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَنِي عَلَى السَّرِيرِ فَامْشِ بِي مَشْيًا بَيْنَ الْمَشْيَتَيْنِ وَكُنْ خَلْفَ الْجَنَازَةِ فَإِنَّ مُقَدَّمَهَا لِلْمَلَائِكَةِ وَخَلْفَهَا لِبَنِي آدَمَ. فَإِذَا أَنْتَ وَضَعْتَنِي فِي الْقَبْرِ فَسُنَّ عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًّا.[4] وشدد رسول الله ﷺ على التعجيل بالدفن، وعلى قراءة شيء من القرآن في القبر.

---

[1] صحيح البخاري (2/ 80)

[2] المعجم الكبير للطبراني (20/ 35) عَنِ الْحَسَنِ.

[3] صحيح البخاري (2/ 100)، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[4] مصنف ابن أبي شيبة (2/ 480)، عن عبد الله ابن عمر.

قال ﷺ: " إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَلَا تَحْبِسُوهُ وَأَسْرِعُوا بِهِ إِلَى قَبْرِهِ وَلْيُقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِهِ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ بِخَاتِمَةِ الْبَقَرَةِ فِي قَبْرِهِ ".[1]

ويستحب عند دفن الميت ان يقال: بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، اللهم أجره من عذاب القبر وعذاب النار ومن شر الشيطان الرجيم.[2] وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ"[3]

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ – أَوِ المُنَافِقُ – فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ".[4] ويقال لرجل سوءٍ آخر، ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ. فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إلى النَّارِ،

---

[1] شعب الإيمان (11/ 472) والطبراني في المعجم الكبير (12/ 444). عن عبد الله ابن عمر.
[2] السيوطي، شرح الصدور ص105.
[3] سنن أبي داود (3/ 215) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ
[4] صحيح البخاري (2/ 90)،عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ" [1]

الموت محطة فاصلة بين العمل وبين الثواب والجزاء، وحجابٌ نهائيٌ حاجز بين الصالحين الصادقين وبين الكافرين المنكرين. وذكر الموت ما هو إلا تذكرةٌ تنبه الغافلَ ليصحح، والمؤمنَ ليستزيد من العبادة ومن العمل الصالح. ونعيم الدنيا ليس بشيء امام نعيم الآخرة، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ , فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ ".[2]

والموت راحة للمؤمن، قيل فيه: (ما شبهت خروج روح المؤمن من ضيق الدنيا إلى سعة رحمة الله إلا كخروج الجنين من ضيق رحم أمه إلى سعة الدنيا). هكذا ترتاح روح المؤمن بعد طول عناء. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ "[3].

ختاماً، رسالةٌ وصلت إلى سيدنا محمد ﷺ ومنه إلى كل مؤمن: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»[4]. ويا لها من رسالة.

---

[1] سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (5/ 335). عن أبي هريرة ضي الله عنه.
[2] (الترمذي) 2323 , (مسلم) 55 - (2858) , (ابن ماجة) 4108 , عن الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّاد.
[3] شعب الإيمان (12/ 292)،عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو.
[4] المعجم الأوسط (4/ 306)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ.

28- أرواح متصلة

(الروح في البرزخ)

أرواحٌ متصلة، بعض أصحابها قضى نحبه وبعضها ينتظر، وبعضها الثالث لم يولد بعد. تتصل أرواح الأموات فيما بينها، وأرواح الأحياء فيما بينها، وأرواح الأموات بأرواح الأحياء فكيف ذلك؟

ينبغي أولاً أن نعلم أن ما بعد الوفاة حديث أرواح لا حديث أجساد: فعَن وهب من مُنَبِّه قَالَ (...فَأَما الْجَسَد فَإِنَّهُ مثل الْقَمِيص يخلعه الْإِنْسَان مِنْهُ فَإِن كَانَ الْقَمِيص يجد مس شَيْء فَإِن الْجَسَد على قدر ذَلِك وَلَكِن النَّفس هِيَ الَّتِي تَجِد الرَّاحَة أو الْبَلَاء).[1]

وينبغي أن نعلم ثانياً، أن أرواح الكافرين والعاصين سجينة ومقيدة[2]، قطع اتصالها عن العوالم الأخرى، فقد أعطيت فرصة الحرية في العقيدة فأبت وأنكرت فخسرت فرصتها. وأما أرواح المؤمنين فتتمتع بحرية، بمقدار ما صدّقت وعمِلت وأنجزت. سُئِلَ النَّبِي ﷺ عَن أَرْوَاح الْمُؤمنِينَ فَقَالَ: " فِي طير خضر تسرح فِي الْجنَّة حَيْثُ شَاءَت". قَالُوا يَا رَسُول اللّه وأرواح الْكفَّار؟ قَالَ: "محبوسة فِي سِجِّين".[3] قال الصحابي سلمان الفارسي لأخيه في الله عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلام: (أَيْ أُخَيَّ.

---

[1] أخرجه عبد الرزاق، وابن المنذر في تفسيره عن وهب بن منبه، 89.

[2] الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (1/ 144).

[3] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: 228)،أخرجه إِبْنِ مَنْدَه وَالطَّبَرَانِيّ وَأَبُو الشَّيْخ عَن ضَمرَة بن حبيب مُرْسلا.

أَيُّنَا مَاتَ قَبْلَ صَاحِبِهِ فَلْيَتَرَاءَ لَهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: أَوَيَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ مُخَلاةٌ تَذْهَبُ فِي الأَرْضِ حَيْثُ شَاءَتْ وَنَسَمَةُ الْكَافِرِ فِي سِجْينٍ). [1]

فأرواح الأنبياء والرسل في أعلى عليين، وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، كما جاء في الحديث الصحيح، وأرواح الأولياء والصالحين تتوزع في منازل سامية في جنات النعيم، وأرواح العارفين بالله المرشدين مطلقة ترعى شؤون الذين دلّتهم على الله ثم تابعوا مسيرتها. ويؤذن لبعض أرواح المؤمنين بالاتصال ببعض أهليهم وأحبابهم، كما يؤذن بارتياد مجالس العلم والقرآن لأرواح الذين كانوا يرتادونها في حياتهم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ، فَإِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ يُخْلَى بِهِ يَسْرَحُ حَيْثُ شَاءَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ» [2].

كما ينبغي أن نعلم ثالثاً، أن القبر ليس موقفَ انتظار، فهو إما رحمةٌ وإما عذاب، قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا (بضعة) أَقْبُر سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ "

[1] صفة الصفوة (1/ 211)، عن سعيد بن المسيب.
[2] مصنف ابن أبي شيبة (7/ 129) ومثله في الزهد لأبي داود (ص: 257)

قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ ا لدَّ جَّال» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّال[1]

ومَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا»[2].

عودة الروح إلى صاحبها هي أول ما يجري في أحوال القبر، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»[3].

---

[1] صحيح مسلم (4/ 2199) عن أبي سعيد عن زيد بن ثابت.
[2] صحيح البخاري (1/ 53) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.
[3] سنن أبي داود (3/ 217) عَنْ أَنَس.

وقال أيضاً: " يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ فِي الْقَبْرِ عَلَى مَا مَاتَ، الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيمَانِهِ، وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ " [1].

ثم يلي ذلك سؤال القبر، قال رسول الله ﷺ: "بي يفتتن أهل القبور".[2]

وفسّر ذلك بقوله: "... يُقَالُ للميت المؤمن: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ يَقُولُ: أَمُحَمَّدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ: قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: عَلَيْهَا حَييتَ، وَعَلَيْهَا مُتَّ، وَعَلَيْهَا تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: **{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}** [إبراهيم: 27] قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَى مَسَاكِنِهِ فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: لَوْ كُنْتَ عَصَيْتَ كَانَتْ هَذِهِ مَسَاكِنَكَ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ...". [3]

وعن تواصـــل أرواح الموتى فيما بينهم، فهم الصـــحابة الكرام ذلك، وعملوا به، فكان لا يهلِك هالِك من بني ســـلَمة إلا جاءته أم بِشـــر الصَحابية وكان ابنها بشر قد مات قبلها، فتقول للمحتضر: يا فلان! عليك السلام! فيقول وعليكِ، فتقول: إقرأ على بِشر السلام.[4]

وقال التابعي الجليل سعيد بن المسيب رحمه الله: (إذا مات الرجل، استقبله والده كما يُستقبل الغائب).[5]

---

[1] مسند أحمد ط الرسالة (23/ 65)،عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، عَنْ فَتَّانِي الْقَبْرِ

[2] إثبات عذاب القبر للبيهقي (ص: 32) عَنْ عَائِشَةَ.

[3] مصنف عبد الرزاق الصنعاني (3/ 567)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

[4] السيوطي المصدر ذاته، ص91. بشر بن البراء بن معرور، اخو بني سلمة.

[5] ابن القيم، الروح، ص24.

وفي ذلك، قال رسول الله ﷺ: "إن نفْسَ المؤمن إذا قُبضت تلقاها من أهلِ الرحمة من عباد الله، كما يلقَون البشيرَ من أهل الدنيا، فيقولون: أَنظِروا صاحبكم ليستريح، فإنه قد كان في كرب شديد، ثم يسألونه: ماذا فعل فلان؟ وما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: أيهات! قد مات ذاك قبلي، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهِب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربية! وإن أعمالَكم تُعرَضُ على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة، فإن كان خيرا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم! هذا فضلُك ورحمتُك فأتمَّ نعمتك عليه وأمِتْه عليها! ويُعرَض عليهم عمل المسيء فيقولون: اللهم! ألهمه عملاً صالحا ترضى به عنه وتقرّبُه إليك."[1]

لا يقتصر الأمر إذن على تواصلهم فيما بينهم، بل إنهم يدْعون الله تعالى لينجوَ أحبابُهم الأحياءُ من بعدهم. ويقول رسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مِثْلُ الذُّبَابِ، تَمُورُ فِي جَوِّهَا , اللهَ اللهَ فِي إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ , فَإِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ "[2].

فإذا كانت أحوال الأحياء تعرض على من صلح من أمواتهم، فما بالنا إذا كانت أعمالنا ستُعرض على رسول الله ﷺ؟ قال عليه الصلاة والسلام: "حياتي خير لكم، تحدِّثون ويحدَّث لكم، ووفاتي خير لكم، تُعرَض عليَّ

[1] المعجم الكبير للطبراني (4/ 129)، والنسائي في الكبرى وابن حبان، عن أبي أيوب الأنصاري.
[2] شعب الإيمان (12/ 471) عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ

أعمالُكم، فما رأيت من خير حمَدت اللّه عليه، وما رأيت من شر، استغفرت اللّه لكم".[1]

ولا يزال كثير من الناس يسأل، هل الموتى يسمعون؟ وجواب ذلك عند النبي ﷺ، فقد كان إذا خرج إلى المقبرة يقول: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»[2]. وخاطب رَسُولُ اللّهِ ﷺ، قَتْلَى بَدْرٍ (من المشركين) بعد مقتلهم بثلاثة أيام، فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا» فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا».[3]

وأما عن محادثة الموتى والأحياء ففي أمرها الكثير من أخبار الصالحين: قال ابن القيم: كانت كلمة مقبولة في اهل الفقه أن يقول الرجل الصالح لأخيه في اللّه: إن قدرت أن تأتينا بعد الموت فتخبرنا بما ترى فافعل[4]. وكان الصالحون يأتون في الرؤى، ويخبرون عن أفضل ما وجدوا، فقال بعضهم: نجوت بالاستغفار، وقال آخر: كل الخير في التوكل، وقال ثالث: في ركيعات التهجد، وقال رابع: في الباقيات الصالحات، وقال

---

[1] مسند الحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (2/ 884)، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ.
[2] صحيح مسلم (1/ 218)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.
[3] صحيح مسلم (4/ 2203) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
[4] ابن القيم، المصدر ذاته، ص27.

خامس: في حسن الظن بالله، وقال سادس: بطول الحزن، وقال سابع: بالإقلال من معرفة الناس، وقال ثامن: بالإقلال من نعيم الدنيا، وقال تاسع: بكثرة السجود، وقال عاشر: بالإكثار من ذكر الله، وقال آخر: بالبكاء من خشية الله، وقال آخر: بأعمال أريد بها وجه الله، وقال آخر: بصيام النافلة. وقال العباس عم النبي ﷺ: (كنت أشتهي أن أرى عمر بن الخطاب في المنام (أي بعد وفاته)، فما رأيته إلا عند قرب الحول، فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي، إن كاد عرشي ليُهَدّ لولا أن لقيتُ رؤوفاً رحيما)[1].

وأخبار الصالحين، في كتب الصالحين،كثيرة. يُفهم منها بوضوح أن الموتى الصالحين يتزاورون، ويتجالسون، يتذاكرون فيها العلم بألوانه، ويكمّل بعضهم علوم بعض، ومنها تحفيظ ما تبقى على بعضهم من سور القرآن حتى يُبعث بعضهم حافظاً للقرآن وبعضهم عارفاً بالله، كما أن بعض كبار العارفين رؤي وهو يعلّم بعض الملائكة. قال أبو جعفر السقاء، صاحب بشر بن الحارث: رأيت بشراً الحافي ومعروف الكرخي وهما جاثيان، فقلت: من أين؟ قالا: (من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى)[2].

[1] ابن القيم، الروح، ص27.
[2] ابن القيم المصدر ذاته ص 34.

قَالَ إِبْنِ الْقيم: (وشواهدُ هَذِه الْمَسْأَلَةِ وأدلتُها أَكثر من أَن يحصيها إِلَّا الله، والحسُّ الْوَاقِع من أعدل الشُّهُود بهَا، فتلتقي أَرْوَاح الْأَحْيَاء والأموات كَمَا تتلاقى أَرْوَاح الْأَحْيَاء).[1]

ولا يتبادرنّ إلى ذهن أحد أن هذه الرؤى والعلوم المستقاة منها هي من أحاديث النفس، ومنتوجات العقل، (فإن النفس ليس لها مثل هذا الاستعداد ولا يخطر ببالها ولا عندها منها إشارة ولا أمارة).[2] وقال: فهذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها.[3] وقال: قد حدثني غير واحد ممن كان غيرَ مائلٍ إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يُشكِلُ عليه من مسائل الفرائض وغيرِها فأجابه بالصواب[4].

كيف تلتقي هذه الأرواح؟ يقول الله تعالى: **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** [الزمر: 42]. وعَن إِبْنِ عَبَّاس فِي هَذِه الْآيَة قَالَ: (بَلغنِي أَن أَرْوَاح الْأَحْيَاء والأموات تلتقي فِي الْمَنَام فيتساءلون بَينهم فَيمسك الله أَرْوَاح الْمَوْتَى وَيُرْسل أَرْوَاح الْأَحْيَاء إِلَى أجسادها).[5]

---

[1] ابن القيم، المصدر ذاته، ص25

[2] المصدر ذاته، ص36.

[3] المصدر ذاته، ص41

[4] المصدر ذاته، ص41.

[5] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: 262) وَأخرج بَقِي بن مخلد وإبن مَنْدَه فِي كتاب الرّوح وَالطَّبَرَانِيّ فِي الْأَوْسَط من طَرِيق سعيد بن جُبَير

ويبخل كثير من الناس على من مات قبلهم من أهلهم وأحبابهم، ولو بزيارة أو دعاء، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " مَا الْمَيِّتُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا كَالْغَرِيقِ الْمُتَغَوِّثِ، يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلْحَقُهُ مِنْ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ أَخٍ أَوْ صَدِيقٍ، فَإِذَا لَحِقَتْهُ كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُدْخِلُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ مِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، وَإِنَّ هَدِيَّةَ الْأَحْيَاءِ إِلَى الْأَمْوَاتِ الِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ ".[1]

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أباح الصوم عن الميت وكذلك الحج وخصوصاً الصدقة، وكذلك الدعاء، فقال ﷺ: "إذا ماتَ الإنْسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلَاث صَدَقَةٍ جارِيَةٍ أوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو ولد صالح يدعو له".[2]

ويروى أن عبد الله ابن عمر أوصى أن يُقرأ عند قبره سورة البقرة، وكان الإمام أحمد بن حنبل ينكر ثم رجع عن ذلك.[3]

ومن فضل القرآن على الميت الذي كان يتعهده، جاء في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: ثم يأتي(أي القرآن) أهله، كل يوم مرة أو مرتين فيأتيه بخبرهم ويدعو لهم بالخير والإقبال فإن تعلّم أحدٌ من ولده القرآن بُشِّر بذلك.[4]

---

[1] شعب الإيمان (10/ 301) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ

[2] (مسلم) 14 - (1631)، والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد وابن حبان، عن أبي هريرة.

[3] ابن القيم، الروح ص12.

[4] ابن رجب الحنبلي، أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص: 62). أخرجه ابن أبي الدنيا في التهجد، والخبر رواه الإمام أحمد بن حنبل وأبو خيثمة وطبقتهما من المتقدمين عن أبي عبد الرحمن المقرى.

والأنبياء، أحياءٌ في قبورهم يصلّون، كما ورد في الحديث،[1] وقد مر نبينا ﷺ، بقبر موسى عليه السلام ليلة الإسراء : " وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ".[2] وإذا توفي طالب العلم قبل أن يتم علمه، يستكمله في قبره، للحديث: "من قرأ القرآن ثم مات قبل ان يستظهره، اتاه ملك يعلمه في قبره ويلقى الله وقد استظهره".[3]

وذكر البيهقي في شعب الإيمان، عن رجل من قوم عَاصِمَ الْجَحْدَرِيَّ (وهو من السلف الصالح) قال: رأيته فِي مَنَامِي بَعْدَ مَوْتِهِ بِسَنَتَيْنِ فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَد مُتّ؟ قَالَ: بَلَى قُلْتُ: فَأَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ إِنَّا وَاللهِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَنَا وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِي نَجْتَمِعُ كُلَّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ وَصَبِيحَتِهَا إِلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيِّ فَنَتَلَاقَى أَخْبَارَكُمْ قَالَ قُلْتُ: أَجْسَامُكُمْ أُمُّ أَرْوَاحُكُمْ؟ فَقَالَ هَيْهَاتَ بَلِيَتِ الْأَجْسَامُ وَإِنَّمَا تَلَاقِي الْأَرْوَاحِ. قَالَ فَقُلْتُ: فَهَلْ تَعْلَمُونَ بِزِيَارَتِنَا إِيَّاكُمْ؟ قَالَ نَعْلَمُ بِهَا عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ كُلَّهُ وَيَوْمَ السَّبْتِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. قَالَ قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ دُونَ الْأَيَّامِ كُلِّهَا؟ قَالَ لِفَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَعِظَمِهِ ".[4]

وعن الفضل بن موفق – ابن خال سفيان بن عيينة – قال: لما مات أبي جزِعت عليه جزَعا شديداً، فكنت آتي قبره كل يوم، ثم إني قصرت من

---

[1] مسند البزار = البحر الزخار (13/ 299) مسند أبي يعلى الموصلي (6/ 147)،عَنْ أَنَسٍ.
[2] صحيح مسلم (4/ 1845)، عن أنس.
[3] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: 191) الفردوس للديلمي، عن أبي سعيد مرفوعاً.
[4] شعب الإيمان (11/ 475).

ذلك ما شاء الله، ثم إني أتيته يوما، فبينما أنا جالس عند القبر، غلبتني عيناي فنمت، فرأيت كأن قبر أبي قد انفجر، وكأنه قاعد في قبره، متوشح بأكفانه، عليه سِحنة الموتى، قال: فبكيت لما رأيته، فقال: يا بني ما أبطأ بك عني؟ قال: قلت: وإنك لتعلم بمجيئي؟ قال لي: ما جئتَ من مرة إلا علمتُها، وقد كنت تأتيني فأُسَرُّ بك، ويُسَرّ مَن حولي بدعائك، قال فكنتُ آتيه بعد ذلك كثيرا.[1]

وعن عثمان بن سودة الطفاوي – وكانت أمه من العابدات، وكان يقال لها: راهبة — قال: فماتت، فكنت آتيها كلَّ جمُعة، فأدعو لها وأستغفرُ لها ولأهل القبور، قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي فقلت لها: يا أماه كيف أنت؟ فقالت: يا بنيّ، إن للموت كربةً شديدة، وإنا بحمد الله تعالى لفي برزخ محمود، يُفرش فيه الريحان، ويوسد فيه السندس والإستبرق، إلى يوم النشور. فقلت ألكِ حاجة؟ فقالت: نعم قلت: وما هي؟ قالت: لا تَدَعْ ما كنتَ تصنعُ من زيارتنا والدعاءِ لنا، فإني لأُبَشَّرُ بمجيئك يومَ الجمعة إذا أقبلت من أهلك، فيقال: يا راهبة هذا إبنك قد أقبل، فأُسَرُّ بذلك ويُسَرُّ مَن حولي من الأموات.[2]

وأخبر ابن رجب الحنبلي عن رجل من الصالحين توفي بالإسكندرية رأته ابنته في منامها فقال: يا بنية! إذا جئتِني زائرة، فاقعدي عند قبري

---

[1] الروح لابن القيم ص7.
[2] االمصدر والصفحة ذاتهما.

ساعة، أتملّأ من النظر إليكِ ثم ترحّمي علي، فإذا ترحمت علي، صارت الرحمة بيني وبينك كالحجاب، ثم شغلتني عنك.[1]

وأخبر عن صديقين مات أحدهما فرآه في النوم فقال له: لمّا جئتَ إلى قبرِ فلان صديقِك رأيتك، قال: كيف رأيتَني والترابُ عليك؟ قال: أما رأيت الماءَ إذا كان في الزجاج؟ أما يتبين؟ قال: كذلك نحن نرى من يزورُنا.[2]

الموتى ينتظرون ويستأنسون؟ نعم!

قال عمرو بن العاص لابنه يوصيه: فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.[3]

وقال الفضل بن الموفق: كنت أتي قبر أبي كثيرا قال: فشهدت جنازة فلما قُبِر صاحبُها تعجّلَت لي حاجة، ولم آتِ قبرَ أبي قال: فرأيته في النوم فقال: يا بني لِمَ لَمْ تأتني؟ فقلت: يا أبت فإنك لتعلَمُ بي؟ قال: إي والله، إنك لتأتيني، فما أزال أنظر إليك من حينِ تطلُع من القنطرة حتى تقعدَ إليّ، وتقومَ من عندي فما أزال أنظر إليك حتى تجوزَ القنطرة.[4]

---

[1] (أبي البركات عبد الواحد بن عبد الرحمن بن غلاب السوسي بالإسكندرية)، أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور لابن رجب الحنبلي، (ص: 88-89).

[2] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: 224)، عن الحافظ ابن رجب.

[3] صحيح مسلم (1/ 112) والأذكار للنووي (ص: 274)،عن عبد الله ابن عمرو بن العاص.

[4] إبن القيم، الروح ص14-15.

ومن مِنَن الله تعالى على الأحياء، تواصـــلُ الأرواح بين الأحياء والأموات، يتّعظون منها ويعتبرون من أخبار من سبقهم إلى رحمة الله، وهو أيضاً فسحة خير، أتاحها الله تعالى للموتى، كي يستزيدوا من ثواب ما يقدمه لهم أقاربُهم الأحياء .

وينبغي على المؤمن أن يوقن، أن موته ليس انقطاعاً بل انتقالاً، وأن ثوابه وراحته وفرحه وسروره هي بمقدار ما بَذل في الدنيا، ولا انقطاع حتى للملكين اللذين كانا يحصيان عليه أنفاسه، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: " وَكَلَّ اللهُ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ , فَإِذَا مَاتَ قَالَ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ وُكِّلَا بِهِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ: قَدْ مَاتَ , فَتَأْذَنُ لَنَا فَنَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ , فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلَائِكَتِي يُسَبِّحُونِي فَيَقُولَانِ: أَفَنُقِمْ فِي الْأَرْضِ؟ فَيَقُولُ اللهُ: أَرْضِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَلْقِي يُسَبِّحُونِي فَيَقُولَانِ: فَأَيْنَ؟ فَيَقُولُ قُومَا عَلَى قَبْرِ عَبْدِي فَسَبِّحَانِي , وَاحْمِدَانِي , وَكَبِّرَانِي , وَهَلِّلَانِي , وَاكْتُبَا هَذِهِ لِعَبْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ".[1]

ختاماً، ما أوتي العلماء من علم الله تعالى إلا النزرَ اليسير، وهذا النزرُ على قلته كثير، وأمام كلٍ منا الكثير ليتعلمه، حتى يبلغ كلٌ منّا مأمَنه.

حلوة هي الحياة الدنيا! ولكن الآخرةَ خيرٌ وأبقى، وأحلى ما في الحياة نشوةُ الروح، التي تَشُمُّ عِطر الجنة، وهي لا تزال بعدُ في الدنيا، فهنيئاً لمن أطلق روحه فحلّق، وغذّاها بالتعبدِ فأشرق.

[1] شعب الإيمان (12/ 324) عَنْ أَنَس.

29- ارتقاء الروح

قد عرفنا عن أرواح سوانا، فمتى يأتي دور روح الواحد منا؟ كيف يرقى بروحه، وماذا يربح لو ارتقت أرواح الناس وبقي هو حيث هو، يتخبط ولا يرى طريقاً يخرجه من دوامة الهموم، وغفلة الأهواء، والقلق على المستقبل، والخوف من المرض، والهلع من الموت.

الروح فوق كل هذه الهواجس، تستصغر المصاعب ولا تلقي بالاً لهموم الدنيا ولو اجتمعت في خضم واحد. إنها تنظر إلى العلا، حيث لا مرض ولا فقر، ولا قلق ولا رعب. بؤسها الحقيقي هو في حبسها في جسمٍ متهالك في اللذات ونفسٍ غارقة في الشهوات، وقلبٍ صديءٍ غُلِّقت أبوابه، وعقلٍ أشغله صاحبه بالصغائر. وتناسى المصير.

روحٌ تحط من قدرها الرذائل، وترقى بممارسة الفضائل، تستمد غذاءها من حيث أتت وتقطع إمدادَها المعاصي والآثام؛ تطرب إذا سمعت كلام ربها، وتنتشي إذا أُكثِر من ذكره، تنجلي غمامتها بالاستغفار، ويتفتت صدؤها بمجالسة الصالحين.

مَن همَّه أمرُ روحه فلا يغفلن عن التوبة وعن الإقلاع عن المعاصي، وليفرّ من أقران السوء فراره من الأسد وليكافح وساوس الشيطان، فإنه ذئب الانسان وليقاوم حب الدنيا كما يقاوم الغريق الغرق.

الروح لا تعرف الفراغ أو الملل، وما شعور الانسان بهما إلا دليل على تغير الحال وعلى سوء المآل، الروح طاقة هائلة جياشة، تكتفي من النوم بسويعات، وتتجافى عنه لتستغرق في التهجد والمناجاة، اللسان يلهج بـ "لا إله إلى إلا الله" والقلب يخفق بـ "الله الله الله"؛ والعقل بين التفكر في خلق الله والتمعّن في كلام الله، والتخطيط لأعمال البر ونجدة الغير، والجوارح تنشط في طلب الحلال وتغض عن الحرام لا في طعام ولا في مقام ولا في منام.

هنا يبدأ الكون بخدمته، جاء في الحديث النبوي، كما مر معنا من قبل: الأرواح جنود مجندة"، هي جنود مأمورة، تعمل بأمر الله، قال تعالى: **{لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** [التحريم: 6]، ومجندة للقيام بما يرضي الله وبما يريده الله، تدعوا للمؤمنين وعلى العاصين، مهامها عديدة، متنوعة ولا تحصى، أرواح مغيثة وأرواح ممِدة، وأرواح مؤدِّبة، وأرواح معلمة وأرواح ملهِمة، وأرواح كريمة وأرواح محذِّرة.

أرواح تتصف بالأدب وتعلّمه وتُلهم به، كروح أبي بكر الصديق، وأرواح وقافة عند حدود الله تعالى، منظّمة لحقوق عباد الله مشرفة على تطبيق شرعه كروح عمر بن الخطاب، وأرواح جبلت على الخير والعطاء والصفح والسماحة، كروح عثمان بن عفان، وأرواح خصّها الله تعالى بالعلم وزيّنها بالشجاعة، كروح عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين.

أرواح تبث الحكمة وتدعوا إلى التعقل كروح الحسن بن علي والحسن البصري، وأرواح مقدامة لا تهاب الموت ولا تعرف الخنوع ولا الخضوع ولا الرجوع كروح الحسين بن علي وعبد الله ابن الزبير، واللائحة تطول...

وأرواح على درب هؤلاء استمدّت وأمدّت، تُمِد كل من يتمتع بخلّةٍ حسنة وصدقٍ في الطلب فتزيده وتنمي فيه القدرة وتحسن له الأداء. استمدت من الروح المحمدية ومن أرواح خلفائه، ثم من أرواح أولياء الله والعارفين به جلّ وعلا، ورثوا وتوارثوا وعاهدوا وتعاهدوا، على الإخلاص لدين الله والنصح والوفاء لأمة محمد عليه الصلاة والسلام.

أرواح مجندة للدفاع عن المؤمنين وعن المظلومين تقف في وجه العتاة الظالمين، وتعين الصابرين المحتسبين، ارواح تنبه المؤمن كي يحذر من كيد الكائدين ومن السقوط مع العاصين، تقطع عليه طريق المعصية وتمنعه من ركوب قافلة الظلم والحرام، وتحشره بين الصالحين والعابدين، قال عليه الصلاة والسلام: " عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ"، وفي رواية : "يقادون إلى الجنة بالسلاسل".[1]

أرواحٌ لكل منها قدوتها، وكلهم من رسول الله ﷺ ملتمس، وبحسب استعداد الروح الصادقة يرسل الله تعالى لها روحاً تؤنسها وتجانسها

[1] فتح الباري لابن حجر (6/ 145). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ عن أبي هريرة.

تلقحها وتمدها، قال تعالى: **{كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا }** [الإسراء: 20].

أرواحٌ تكشف زيغ المنافقين وترد كيد الكافرين، ولا يظنن احدٌ انها تنفرد برأي، إنما هي من جند الله حباها الله تعالى بالقدرة، فصالت وجالت، وحلّقت فكشفت وتدخلت، قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا }** [الفتح: 4]. وقال أيضاً: **{كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}** [المدثر: 31].

أرواح قد تسيّر الرياح وتثير الأمواج وتحجب الرؤية وتُري ما لا يُرى، وترخي الظلال. تشترك في هذه المهام أرواح الملائكة فللجبال ملك وللبحار ملك وللسحاب ملك، ولكل شأنٍ ملكٌ من خلفه ملائكة، مكلفون من رب السماء بتلبية أوامر الأرواح الصالحة الصادقة.

قال ملك الجبال للنبي ﷺ: "يَا مُحَمَّدُ , إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ (الجبلين) فَقَالَ لَهُ رَسُول اللهِ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".[1]

[1] (مسلم) 111 - (1795) , (البخاري) 3059

يقول عمر بن الخطاب عن رسول الله – ﷺ – أنه قال: "ليس مِن ليلة إلا والبحر يُشرِف فيها ثلاث مرات على الأرض يستأذن الله في أنَ ينفَضِخ عليهم، فيكفّه الله عز وجل".[1]

مهام لا حصر لها ولا عد تشترك فيها أرواح الملائكة وأرواح صالحي الجن وأرواح الأولياء والصالحين، وجنود من هوام الأرض ومن عوالم السماوات لا يعلمها إلا الله تعالى.

من ظن ان الدنيا سائبة فقد أساء الظن، إذ كل شيء يجري بعلم الله وبإذنه تعالى حتى الشياطين لأن الله تعالى ربُّها وربُّ كلِّ شيء، ألم يدعُ رسول الله ﷺ فيقول: "اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبِّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبِّ الشَّيَاطِينَ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبِّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، ..إلى آخر الحديث.[2]

فعمل الشياطين إنما يجري بعلم وبغاية لا يعلمها الشياطين انفسهم، ولكن الله يعلمها، هي كالمبرد تَظهر قسوتُه ويُزعج صوتُه، لكن أثرَه الحسن لا يظهر إلا بعد أن يَصقُل الحديد.

ثم يأتي الارتقاء التالي:

دلّنا ربنا سبحانه وتعالى على طريق ارتقاء الأرواح بحديث قدسي واحدٍ وكافٍ فقال: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ

[1] مسند أحمد (1/ 293) عن عمر بن الخطاب.
[2] رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان والطبراني في الكبير، عن صهيب رضي الله عنه.

عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ".[1]

فالشرط الأول ان يكف المرء لسانه ويده عن إلحاق الأذى بأولياء الله تعالى، مما يغضب الله تعالى، فهم سفراء رسول الله ﷺ، لأن "العلماء ورثة الأنبياء" كما جاء في الحديث الشريف.[2] ولأن الإساءة إليهم قد تقطع طريق الهدى على طالبيه وعلى الباحثين عنه والمتشوقين إليه.

والشرط الثاني هو التقيد والالتزام بالفرائض التي فرضها الله ورسوله في كتاب الله وسنة رسول الله، ولا أحد مستثنى من ذلك عظم شأنه أو قلّ مقداره.

وأما الشرط الثالث فهو المكمِّل لمسيرة الحب بين العبد وربه، وهو التقرب إلى الله بالنوافل بأنواعها، وأهمها السنن الرواتب المواكبة للصلوات المفروضة، وباقي أعمال البر الواردة في كتاب الله وفي حديث رسول الله ﷺ، من صيام نفل وصدقة وصلة رحم وتعزية مصاب وعيادة مريض، وتبجيل عالم، وتوقير كبير ورحمة عاجز وصغير وما سوى ذلك...

---

[1] صحيح البخاري (8/ 105)، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ.

[2] (الترمذي) 2682 , (أبو داود) 3641 , (ابن ماجة) 223، عن أبي الدرداء.

عند ذلك يكون العبد قد أثبت صدق طلبه لرضى مولاه، وامتثاله لأوامره وإصراره على طلب الهدى، فيُنعِم الرب على عبده بالحب، وقد فصّلنا ذلك من قبل، ومن علامات الحب دوام الصلة والشوق واللهفة، وعلوّ الهمة وقوة الإرادة وترك السِّوى ومخالفة النفس والهوى. والمحب ينعم بالسكينة ولا يحمل في قلبه ضغينة، يرى الخلق جميعاً صنائع الخالق فيبادلهم بصنائع المعروف.

ثم ارتقاء آخر، تبدو منه حقيقة صلة الصادقين بحبيبهم رسول الله ﷺ: من لم يسمع بعد بأخبار الرؤى التي يراها الناس من نبينا عليه الصلاة والسلام يكلم بعضهم ويوعز إلى بعضهم ويرشد بعضهم، إلى يومنا هذا، ويرسل الرسائل إلى آخرين فيدل على محتاج ويشير إلى قائد ويوعز إلى سلطان، ومن لم يسمع فليقرأ في كتب تاريخنا المجيد فيقرأ عن رسالة إلى صلاح الدين، ورؤيا لنور الدين وأخرى للظاهر بيبرس وآلاف ممن رأوا رسول الله ينصح ويعلم ويبشر وينبه وينذر.

ثم ترتقي الروح أكثر، فيؤذن لروح الصادق أن تنطلق إلى مداها الأرحب فتكشف للمؤمن آفاقاً جميلةً وبعيدة، فتُسمِعه ما لم يكن يسمعه وتفتح له عين بصيرته فترزقه حكمةً وعلما، وتدفع عنه ما لا يقدر عليه بقوّته، فيتجاوز كل عادة ويخرق كل حاجز. فلا السمع سمعه ولا البصر بصره ولا القوة قوته ولا البطش بطشه إنها طاقات وقوى مستمدة من الله العلي

القدير بإذن الله العلي القدير القائل: "...كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،...".

لأنه وحّد الوجهة، ولم يعد له في الدنيا سوى همٌ واحد، لأجله يسعى وبه يشغل، كُفِي ونَعِم واستراح، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ».[1]

ذهب عنه الخوف مما سيأتي وخرج من قلبه الحزن على ما لم ينله، فأبدله الله تعالى سعادة وصفاء وطمأنينة. قال جلّ وعلا: **{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** [البقرة: 112].

من أهمل أمر روحه غفِل وارتكب وعصى، والشهوات هنيهات والمعاصي آفات يأكلن العافية ويستهلكن الوقت، وإذ بالمرء يُستدعى على عجل وبلا إمهال، وما فات لا يستعاد ولا يستدرك. وتقف الروح ترى صاحبها يبتعد ومعه نفسه. فقد ضيّع الأمانة ولم يحفظ العهد فلم يعد جديراً بالوداع ولا لقاء بينهما بعد ذلك. فالروح تعود إلى عالم القداسة والجسم والنفس سيُخَلَّدان في تعاسة.

[1] سنن ابن ماجه (1/ 95)،عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ.

وأما من عرف قدر ما يطلب، فقد هان عليه ما يبذل، قال تعالى في الحديث القدسي عن لحظة الفراق: " وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ". تبكيه السماء والأرض، السماء التي ظللته وهو يتعبد ويتصدق ويتهجد، وتبكيه الأرض التي سبحت بتسبيحه وتنعمت بمناجاته، وتطهرت بسجوده، تبكيه ليس من أجله فقط، فهو في أحسن حال وفي أعلى مقام لكن تبكيه لنفسها لفقدها له، وفراقها عنه، لأنها لن تراه بعد ذلك اليوم فسوف ينعم بسماء أعلى وأرضٍ أنقى، إنها تبكي حالها بعده وتخشى أن يحل محلَّه في الدنيا من لا دين له ولا عبادة ولا تسبيح، تخاف ان يرتكب عليها المعاصي، فيدنسها بعد قداسة، ويقذِّرها بعد طهارة.

الروح فرصة عادلة تُمنح لكل فرد من الإنس والجن، فمن عرف قدرها ودورها ونورها وحضورها وعمل بمقتضاها تنعم وتلذذ وانشرح ثم فاز واستراح، ومن تغاضى وخدم الجسم والدنيا، خدعته الدنيا وامتطه ثم لفظته ونبذته وفي الجحيم ألقته.

اللهم اكشف حجب قلوبنا ونور لنا عقولنا وافتح لنا بصائرنا وأطلق لنا أرواحنا. اللهم نور قلوبنا بنور معرفتك وافتح علينا فتحاً يليق بجودك وكرمك. اللهم ألهمنا دوام ذكرك ووفقنا لكمال طاعتك. وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

30- ثمرات الروح

في الختام حان وقت تلمس ثمرة الروح وثوابها، الروح التي هامت متعلقة بربها، والروح المصدِّقة، التي أصغت لنداء ربها سبحانه في علاه، واستجابت لدعوة حبيبه المصطفى سيدنا محمد ﷺ؛ تطور أمرها من روحٍ أُمِرت من قبل وهي في عالم الذرّ: ألَستُ بربكم، فأجابت بلى وربِّنا، أنت ربُّنا، ولما نزلت في الجسد الترابي استجابت، وامتثلت، فكانت كلما أذعنت تنسمت، وكلما تعبدت ارتقت، وكلما سجدت اقتربت، حتى أحبت، وما إن أحبت حتى بدأت تتحسس قدراتها الخارقة: صارت تسمع ما لا يُسمع وترى ما لا يُرى، قال نبينا ﷺ: " إِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي وَمِنْ أَمَامِي ".[1]

صارت للروح هيبة وبطش وقدرة وحماية وكلما تخلّى صاحبها عن تعلقات الدنيا زادت أمكاناتها فصارت مطلقة، تحلّق وتخترق وبعد أن كانت تتلقن وتتلقى، صارت تلقِّن وتوجِّه، وتصون وتحمي، وتنقذ وتغيث. فعندما تتغلب الروح على الجسد، تقوده إلى عالمٍ أرقى، فتخرجه من عالم المادة إلى عالمٍ لا متناهٍ، يتجاوز القوانين الطبيعية المادية، عالم لا حاجز لقوته ولا حد لقدرته، فبالله ينطق وبالله يرى ولله يعمل، ففي غزوة حنين مثلاً، مالت المعركة لصالح المشركين، فقبض نبينا ﷺ قبضة

[1] عن أنس، أخرجه الأمام أحمد، وعن أبي هريرة: "أحسنوا صلاتكم فإني أراكم من خلفي كما أراكم أمامي".

من تراب وقذفها باتجاه المشركين، وقال: "شاهت الوجوه"، فتضعضعت صفوفهم ونال المسلمون منهم كل منال، فقال الله تعالى له: **{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** [الأنفال: 17].

هكذا نفهم معنى المعجزة، ونراها أمراً يسيراً من أمر الخالق وإذنه وتفويضه، قال تعالى: **{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) }** [يس].

هل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌ، رضي الله عنهم، بحاجة لأن يرَوا ويسمعوا تسبيح الحصى في كف النبي وفي أكفّهم؟ طبعاً لا فإيمانهم أعمق من ذلك وآكد، لكن لكي نعلم أن ما كان معجزة لنبي قد يصبح يوماً كرامةً لوليّ، ولكي نفهم أن من صفت روحه وسكنت نفسه واطمأن قلبه وأكثر من ذكر ربه، صار له استعداد أعلى لفهم الحكمة مما يجري من أحداث ظاهرها سلبي وخاتمتها سعيدة مفيدة، صارت له القدرة على الاتصال بالعالم العلوي بلا افتراء ولا ادعاء ولا تجنٍ ولا تجاوز للشريعة المطهرة. يقول الله تعالى: **{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}** [الإسراء: 44].

الكون يسبّح، وكذلك العشب والشجر، والطير والثمر، لكن العَقَبة تبقى عندنا إذ لم نفقه تسبيحهم، يسلم الحجر على النبي ﷺ وعلى بعض

أوليائه الصالحين، لكننا نحن الذين التصقنا بالمادة لدرجة جعلت بعضنا معدوم الشعور، منكراً لما يدور، عاجزاً عن تصديق كلام الله وتطبيقاته الروحية في حياتنا اليومية.

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: "إِنَّ اللهَ , وَمَلَائِكَتَهُ , وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ , وَالْأَرَضِينَ , حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا , وَحَتَّى الْحُوتَ , لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ".[1] أي يدعون له بالخير، ألا نرى الحيتان تأتي أفواجاً إلى الشواطيء لتنتحر على مرأى من بني آدم تشكو لهم تلويثهم لمياه البحر ونفق الأسماك، وقلة الأرزاق! لم نفهم لغتهم ولا تسبيحهم، فجاؤوا إلينا يبلغوننا رسالتهم اليائسة قبل أن يحاجّوننا أمام الله عز وجل يوم القيامة.

والأرواح متنوعة، قال ابن القيم: (فللعلم روح، وللإحسان روح، وللإخلاص روح، وللمحبة وللإنابة روح، وللتوكل والصدق روح، والناس متفاوتون في هذه الأرواح، فمنهم من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانيا)[2].

من الأرواح روح الرحم، التي خاطبت مولاها يوم أن خلق الله الخلق، قال ﷺ: " خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، فَقَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ ".[3]

---

[1] (الترمذي) 2685 , (سنن الدارمي) 289 , (الطبراني) 7911 , عن أبي امامة الباهلي.

[2] الروح لابن القيم ص257.

[3] صحيح البخاري (9/ 145)، عن أبي هريرة.

وليس للروح طاقة واحدة،بل طاقات بعضها عظيمة كأرواح الأنبياء والمرسلين وبعضها صغيرة كروح الثوب، قال الصادق الصدوق ﷺ: "أطْوُوا ثِيابَكُمْ تَرْجِعْ إلَيْها أرْوَاحُها فإنّ الشَّيْطانَ إذَا وَجَدَ ثَوْباً مَطْوِياً لمْ يَلْبَسْهُ وإنْ وجده منشوراً لبسه".[1] وأقل فهم لهذا الحديث هو كيف نخلص الثوب من الطاقة السلبية حين يُطوى ويُكوى ويُصان.

حقاً ما أوتينا من العلم إلا قليلا، وتعلو الطاقات كل بحسب ما قدر له، نرى كيف عُلِّم سليمان عليه السلام منطق الطير، إذ انتقل بالروح إلى عوالم أخرى، فكلّم الهدهد، وسمع النملة تكلم قومها، وسيطر على مردة الشياطين وسخرهم في أعمال باهرة خارقة. هي الروح التي جعلت الجبال تترنم لترتيل داود عليه السلام، هي الروح الخارقة التي حبا الله بها عيسى عليه السلام فأحيا بها الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص.

هي الروح التي، وبضربةٍ من عصا موسى المأذونة، أفقدت مياه البحر خصائصها السائلة ومنحتها خصائص الجبال فانتصب الماء كل فِرقٍ كالطود العظيم.

هي الروح المأذونة من ربها التي رد بها سيدنا محمد ﷺ العين المقتلعة يحملها صاحبها على يده، وهي التي حوّلت العرجون اليابس إلى سيف يضرب رقاب المشركين. هي الروح التي كثّرت الطعام والتمر ونبعت الماء من بين أصابع النبي ﷺ.

[1] رواه الطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه.

كيف تستمد الروح؟ حَدَّثَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ، أَسْنَدَهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «نَحَلْتُ إِبْرَاهِيمَ خُلَّتِي، وَكَلَّمْتُ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَعْطَيْتُ مُحَمَّدًا كِفَاحًا» ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: مَا الْكِفَاحُ؟ قَالَ: " يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، يَخْفَى الْكِفَاحُ عَلَى رَجُلٍ عَرَبِيٍّ، الْكِفَاحُ: الْمُشَافَهَةُ ".[1]

أيُّ روحٍ تلك الروح المحمدية التي زويت لها الأرض فرأى رسول الله ﷺ، مشارقها ومغاربها [2]، وصار يسمع ويرى ما يجري في غرفٍ مقفلةٍ أبوابها! ولما فارقت الروح الجسد، خفت أثقالها فصارت طليقة، حركاتها رشيقة، صارت أقرب إلى الحقيقة ولما تبلغ بعد نهاياتها، وهل لها نهاية؟ إنها هي النهاية، هي منتهى الأمل ومبلغ العمل، هي الموقف المنشود في اليوم المشهود، الذي قال عنه ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة.[3] في ذلك اليوم ينكشف للروح وللجسد سرّ إذعانهما وسجودهما لربهما في الدنيا، قال عليه الصلاة والسلام: " فيقول ربنا سبحانه وتعالى: " ... لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْكُمْ مَا تَوَلَّوْا فِي الدُّنْيَا , حَتَّى يُورِدُهُمُ النَّارَ... وَتَبْقَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ, فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ قَالُوا: إِنَّ لَنَا رَبًّا لَمْ نَرَهُ بَعْدُ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَتَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلَامَةٌ قَالَ:

---

[1] رؤية الله للدارقطني (ص: 269-270).

[2] عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، عنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: "زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (5/ 98).

[3] مسند أحمد ط الرسالة (17/ 206).

فَذَلِكَ حِينَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ (والمراد بالساق نور عظيم يكشف عنه سبحانه يوم القيامة)، قَالَ: فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجُودًا طَوِيلًا قَالَ: وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَصَيَاصِي (كقرون) الْبَقَرِ ، يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ..."[1]. وذلك مصداقاً لقوله تعالى في سورة القلم: **{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42)}**.

إنه اليوم الحق ، يوم يكشف الرحمن عن نور عظيم لعباده المخلصين دون المنافقين، كانت الرؤوس في الدنيا تسجد والهامات تخر خشوعاً ولما رأت بعد ربها الذي عبدته، بينما كانت أرواحهم تسجد في العلا، في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر. تلك هي الصلة التي لم تنقطع عن ربها وهي التي ستتعرف على تلك العلامة يوم القيامة.

وما سنرى منه قبساً، يراه النبي كاملاً ، وما يرى المسلمون منه زيارةً لا يغيب عن ناظري رسول الله ﷺ . وما كان لنبينا في المعراج مؤقتا صار له يوم القيامة دائما. تلك هي أعلى درجات الثواب، ثواب الروح التي صدّقت فصدَقها الله تعالى وعدَه، وأراها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

اللهم اشفِ أمراضنا وعافِ أجسادنا، وزكِّ نفوسنا، واسلل سخائم قلوبنا، وأطلق أرواحنا قرباً إليك وشوقاً للقائك وأنت راضٍ عنا يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

[1] الشريعة للآجري (ص 1021-1022)، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

خاتمة

لم يؤد التقدم التكنولوجي في الغرب إلا لمزيد من الأنانية والمادية والانطواء والتأزم النفسي والخلل الأخلاقي والاجتماعي، ولم تغنِ كل وسائل الراحة والترفيه المتوفرة إلا إلى مزيد من الشعور بالكآبة والخواء الروحي، ومن يتابع انباءهم أو يطلع على أبحاثهم وإحصائياتهم يجد أنهم وجدوا لكل العقبات المادية والحياتية حلولا إلا العقبات النفسية والاجتماعية والتربوية، وفي ارتفاع نسب الانتحار والطلاق والشذوذ عندهم أبلغ الأدلة. على العكس، في بلاد المسلمين، فعلى الرغم من تفشي الفقر عن جهلٍ أو عمد، وبالرغم من الحروب المفروضة والتدمير والتهجير، فإن في التجاء المؤمن إلى ربه، وفي صبره على مبتلاه، وعلى شظف العيش والمصاعب التي لا تزال تعيقه، وفي الأمل الذي ينشده مصدقاً لما وعد به الله ورسوله، خير أدلة على أن الصلة الروحية تعوّض المؤمن عن كل ما يقاسي ويتعرض له، فهو في خير ما دامت صلته بربه مأمونة.

من يسأل بعض الذين أسلموا من أهل الغرب أو الشرق، يتبين له أن الإيمان روى عطشهم وأنالهم ما يفقدون، وجدوا ضالتهم الروحية وأمانهم النفسي وراحة قلوبهم واقتناع عقولهم، وعن مشاعر كل منهم لحظة إعلانه الشهادة يخبرك بالارتياح العظيم الذي شعر به، كأنّ حملاً ثقيلاً سقط عن كاهله، ولّما يُصلِّ بعدُ ركعة واحدة، لأن صلة العبد الروحية عن

ربه كانت مقطوعة، ما يتعب الفكر ويضني القلب ويشقي النفس، وكأنه بغعلان الشهادتين استعاد شيئاً عزيزاً ثميناً كان قد ضيعه، لكنه لم يكن يدرك ما هو هذا الشيء الثمين العزيز. يقول الله تعالى: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)}** [طه].

إنها خفة الروح تحمل الجسد وتزيح عنه همومه وشكوكه وأعباءه، وترتفع به إلى فضاء رحب ممتليءٍ رحمةً ومحبةً وصفاءً وسكينة.

وتبين لنا أن الروح أرواح وسرها أسرار، وفعلها أفعال، ولا تشبه روحٌ روحا، فأرواح في السماء وأرواح في الأرض وأرواح بين السماء والأرض، وأرواح تجوب من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء، وللدعاء روح، وللصلاة روح، وللصوم روح، وللحج روح، وللولاية روح، وللجهاد روح، وللصدقة روح، بسلسلة لا نهاية لها.

بل إن لكل عبد صلة روحية بربه قد يكون لها ما يميزها من عطاء الله وتخصيصه، ولا حد لمجالات الأرواح ولا لقدراتها ولا لآثارها، فهي تستمد من مولاها، ومولاها جلّ وعلا يقول: **{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}** [الكهف: 109].

ومن خلال استعراض بعض مفاعيل الروح، ظهر لنا الكثير من مزاياها وآثارها، دون أن نخوض في المستحيل المعجز، فلا بحثنا في أصلها ولا جوهرها ولا مسألة خلقها، واجتنبنا ما لا فائدة منه ولا مؤدى له ولا

يعدو كونه جدالاً وتنظيرا وخوضاً فيما لا نفهم فيه ولا إذن بنقاشه بلا طائل. وصدق الله العظيم: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}** [الإسراء: 85]. واتضح لنا أن هذا القليل كثير علينا لا بل يكفينا حتى نعقل ونقتنع ونذعن، هذا إذا صدقنا في طلب الهداية.

وما كان لنا أن نبحث بحث الروح دون أن نتحرى الأدب في بحثه فلا نتعدى الحدود، وما كان ليتسنى لنا هذا الأدب لولا التقيد بما ربانا عليه أسلافنا رحمهم الله وجزاهم عنا كل خير. وهنا نسأل:

من للروح؟ ومن نسأل؟ وإلى أين نذهب؟ وعند من نتداوى؟

والجواب بسيط: حين نتخذ القرار بالتغيير، ونسعى لذلك، ونتقصى، نجد أن الأولياء الأطباء متوفرون وأن الله تعالى أخفاهم فقط عن أعين الذين شاقوا الله ورسوله، وكرههم الله ورسوله. وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

لائحة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

– متون الحديث الشريف.

– تفاسير القرآن الكريم.

–شروح الحديث الشريف.

–إبن أبي الدنيا، الإشراف في منازل الأشراف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت 281هـ)، تحقيق د نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد – الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1411هـ 1990م

– إبن أبي الدنيا، من عاش بعد الموت: تحقيق محمد حسام بيضون، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ.

–إبن الجوزي، صفة الصفوة: جمال الدين (المتوفى: 597هـ)، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: 1421هـ/2000م.

–إبن حماد نعيم، كتاب الفتن: أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت 228هـ)، تحقيق سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد – القاهرة، الطبعة الأولى، 1412.

– إبن سعد، الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ – 1990م

– إبن شاهين، الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك: أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (ت 385هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ – 2004 م.

– إبن عبد البر، جامع بيان العلم: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1414 هـ – 1994 م.

–إبن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت 365هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود–علي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ1997م.

–إبن عساكر، تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995م.

– إبن قيم الجوزية، الروح: (ت751هـ)، تحقيق كامل محمد عويضه، دار العنان، طبع دار الحرمين بالقاهرة-2000م.

– إبن كثير، التكميل في الجرح والتعديل: أبو الفداء إسماعيل القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، دراسة وتحقيق د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م.

–إبن المبارك، الزهد والرقائق: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت 181هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.

– إبن النجار ذيل تاريخ بغداد: محمد بن أحمد بن داود، أبُو عبد الله شمس الدين ابن النجار (ت 871هـ)،تحقيق، د بشار عواد، وزارة الإعلام، بغداد ، 1974م.

– أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف: محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت 380هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

– أبو الشيخ الأصبهاني، العظمة (ت 369هـ): أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (ت 369هـ)، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، 1408.

– أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني دار الكتاب العربي – بيروت.

– **أبو نعيم الأصبهاني ، دلائل النبوة:** تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1986 م

– أبو نعيم الأصبهاني، الطب النبوي: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت 430هـ)، تحقيق مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 2006 م.

– أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة: تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998 م

– أبو نعيم الأصبهاني، فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم: تحقيق صالح بن محمد العقيل، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م

–الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب: مكتَبة المِعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000م.

–البخاري في الأدب: الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، 1409 – 1989.

–البخاري، التاريخ الكبير: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن

–البُستي، محمد، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار: أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، تحقيق مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م

–البوطي، محمد سعيد رمضان ، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة: دار الفكر – دمشق– الطبعة الخامسة والعشرون – 1426 هـ.

–البيهقي، دلائل النبوة: أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1405 هـ

–البيهقي في الآداب: اعتنى به وعلق عليه أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

الترمذي، محمد بن عيسى، مختصر الشمائل: أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني

– الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول: صلى الله عليه وسلم، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو 320هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت.

الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله محمد (المتوفى: 748هـ)، دار الحديث– القاهرة، الطبعة 1427هـ-2006م

– الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت. 2001م.

–الدارقطني أبو الحسن ، رؤية الله: علي، (المتوفى: 385هـ)، تحقيق إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن– 1411 هـ.

–الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب: شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (ت 509هـ)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986م.

- **السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى:** عبد الوهاب (المتوفى:771هـ)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ

السيوطي جلال الدين، الخصائص الكيرى: عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت

–السيوطي، جلال الدين، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة – لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م.

–الشعراني، الإمام عبد الوهاب، (ت 973 هـ)، **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية:** مكتبة المعارف-بيروت 1993.

– الطبراني، مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360هـ)، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 – 1984.

– الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار المعرفة – بيروت.

– القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992م.

– القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: أبو عبد الله محمد شمس الدين (المتوفى: 671هـ)، تحقيق ودراسة د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1425 هـ.

- **القزويني، عبد الكريم، التدوين في أخبار قزوين:** أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: 623هـ)، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، الطبعة 1408هـ-1987م

–القشيري، الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ). تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

–المباركفوري، الرحيق المختوم: صفي الرحمن (المتوفى: 1427هـ)، دار الهلال - بيروت - الطبعة الأولى.

"نسائم الروح"

فهرس الكتاب

متسلسل	العنوان	صفحة	متسلسل	العنوان	صفحة
-	مقدمة	5	17	روح الصوم	117
1	لمن تفتح أبواب السماء	7	18	روح الحج	125
2	الروح من أمر ربي	13	19	ذكر الروح	132
3	وما أوتيتم من العلم إلا قليلا	19	20	روح الولاية	139
4	نسائم الروح	25	21	روح التضحية	147
5	روح النبوة	31	22	تلقين الروح	156
6	الوحي والروح	38	23	تلقيح الروح	164
7	عروج الروح	45	24	عوالم الروح	172
8	روح الرسالة	53	25	الروح المخترقة	179
9	روح المحبة	59	26	خروج الروح	187
10	الروح المطلقة	65	27	شهود الروح	206
11	أرواح كشافة	72	28	أرواح متصلة	216
12	أرواح تنسمت	79	29	ارتقاء الروح	229
13	روح الصدق	86	30	ثمرات الروح	238
14	روح القرآن	94	-	خاتمة	244
15	روح الصلاة	101	-	المراجع	235
16	روح العطاء	108	-	فهرس	239

العميد الركن المتقاعد الدكتور محمد فرشوخ

مواليد بيروت 1949م

رئيس منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة AUL

رئيس تحرير مجلة "الإعجاز" التي تصدر في لبنان

Email: moharshuk@gmail.com

Mohamad.farshoukh@aul.edu.lb

للمؤلف:

- **الختم الشريف من الدين الحنيف (في ذكر الله).**
- **مملكة قبرص اللاتينية– تكملة الحروب الصليبية (تاريخ عصور وسطى).**
- **النور والبرهان في إعجاز القرآن (إعجاز).**
- **النهج والسلوك إلى ملك الملوك (تزكية).**
- **السيرة البيروتية (فقه السيرة).**
- **مدرسة النبوة (سيرة الصحابة).**
- **السموّ إلى السماء بالأسماء(فضل أسماء الله الحسنى).**
- **من تزكى – خطرات في حلقات (توعية).**
- **نسائم الروح (أمر ربي).**

الروح هي باب العبد إلى السماء

لا مسافة تقطعها ولا زمن تستغرقه

يكفي أن يخلص العبد في اعتقاده بان للكون رباً وخالقا

واحدٌ أحد، فردٌ صمد

﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾.

قد تنبيء الروح صاحبها بما قد يأتي وقد تصله بمن مضى

فإذا كان الجسم يبلى والقلب يتوقف والعقل يتلاشى

فإن الروح تتخطى الجسم والقلب والعقل وكل العوائق

وتبلغ ما لا تدركه آلة ولا يصل إليه نجم ولا كوكب

فأين نحن من الروح؟ ماذا نعرف عنها؟

وكيف السبيل إلى الإفادة منها وكيف النجاة بواسطتها؟